ديوان الشيخ الفارس جاوان البلحي



ديوان يضم قصص وأشعار شعبية

تـــأليـــف

محيا جاوان الحربي

الطبعة الأولى

لعام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ح
محيا جاوان طلاق الحربي، ١٤٢٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحربي، محيا جاوان طلاق
ديوان الشيخ الفارس جاوان.- حائل.
١١٧ ص؛ ٢٤ سم
ردمك ٠-٥١٢-٤١-٩٩٦٠
١- الشعر الشعبي السعودي أ — العنوان
ديوي ٨١١,٠٩٥٥٣١ ٢٣/١٥٢٤

رقم الإيداع: ٢٣/١٥٢٤
ردمك: ٠-٥١٢-٤١-٩٩٦٠

صمم الغلاف بريشة المؤلف

ديوان الفارس الشيخ جاوان البلحي

ديوان يضم قصص وأشعار شعبيه

تــأليف

محيا جاوان الحربي

الطبعة الأولى

لعام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

الإهــــداء

أهدي كتابي إلى: كل قراء ومحبي التراث الشعبي الأصيل في جزيرتنا العربية

أهدي كتابي إلى: كل من سار سير أسلافه وصان تراثهم المجيد فخراً واعتزازاً

أهدي كتابي إلى؛ كل من وقف معي حتى رأى هذا العمل المتواضع النور

أهدي كتابي إلى: كل من زودني بقصة أو قصيدة لجاوان البلحي

أهدي كتابي إلى: كل من استشهد أو تغنى بأشعار جاوان البلحي

إليكم: أحبتي جميعاً أهدي طليعة مؤلفاتي

محمد جاوان البلحي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين والصلاة والسلام على الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

يسعدني أن أقدم بين يدي قرائنا الأعزاء أولى محاولاتي في صياغة وجمع درر ثمينة من تراثنا الشعبي العريق، كمشاركة متواضعة في هذا المضمار راجياً أن تسد فجوة في منظومة ذلك الموروث المتناثر، ذلك ما لاحظته من خلال إطلاعي المتواصل لإصدارات مؤلفي التراث الشعبي في منطقة الجزيرة العربية الذين جمعوا جواهر متألقة من تاريخ أدبنا الشعبي((شعراً ونثراً وقصصاً وأمثالاً)) كانت تعبيراً صادقاً عن أصالة أبطاله من الأجداد والآباء الذين رحلوا عن الديار بلا رجعة وبقيت أخبارهم يتناقلها الرواة من السلف إلى الخلف لتخلد ذكراهم في أذهان أحفادهم الذين ورثوا تاريخ حافل بالأمجاد يستحق التوثيق والمزيد من الاهتمام.

من هذا المنطلق توفر بين يدي نبع رأيت أن أنهل من معينه بشغف واهتمام وأن أقدم لمحبي هذا اللون من التراث الشعبي من خلال شخصية الشيخ جاوان البلحي ذلك الفارس المقدام فمن خلال أخباره وأشعاره نطالع القصيدة الصادقة، والقصة الموثقة، فارس قصائده أفعال وأشعاره مفاخر وماضيه تاريخ لحاضرنا.

هذا وقد ركزت في جمع معلوماتي لتدوين ديوان الفارس جاوان البلحي على أحداث كان الشاهد فيها أشعاره، ثم وثقتها بمصادر المعلومات الأولية كالوثائق التي دونت بلغة عصره التي كشفت عن شخصيته ومكانته لاسيما أثناء مرحلة التوحيد، كما استشهدت ببعض المصادر الثانوية كروايات الرواة من أبناء معاصريه، وقصائد الشعراء عنه، وأقوال شيوخ القبائل فيه، تلك التي كانت تلاحقني أينما حللت أو اجتمعت مع من عرفوا أو سمعوا عنه شيئاً؛ لذا كان لابد لي من السير في هذا الطريق حتى يرى هذا العمل النور كأقل ما يجب أن أقوم به نحوه رغم قناعتي التامة بأنني مهما استقصيت البحث في جمع وتدوين الحقائق عن حياته وأشعاره فلن أفه حقه كاملاً إلا أنني أستطيع القول بأنني مازلت في بدايات الطريق ومن سار على الدرب وصل.

****

ليا عدوا اسمي مكملين المواجيب	وعدو وراه اسمك مكاني عرفتـــه
أنتـه على صيتك بحدبٍ لـــواهيب	وأنـــا القلم في ما مضالك عسفتـــه
أسمك ذرا عن حاميات اللـــواهيب	ما هو بقول الناس بالعين شفتـــه
أسمك أمان لمن حدتـه المغـاليب	يا من عقب خوفه وباسمك كنفتـــه
من عدبك يا منبع الجود والطيب	طيبـه على قومـه يزود أن وصفتـــه

المؤلـف

الشيخ جناور البلعمي

ليا ركب قباء واخذ كل مسنون ** الخيل عن دربه تزايد إجفالــه

جاوان البلحي حجازي المولد نجدي النشأة حربي القبيلة فارس من أي جوانبه جئته وجدت ما تطلب من صفات الفروسية فإن تبحث عن الكرم تجد جوابه في قول الشاعر معتاد[١]

قدامكم جاوان ما هوب غائب يرم العشاء للطير ومَسْلوَع الذيب

وفي قول الشاعر مطني [٢]

والزاد يصبح مالين كل ماعون زودٍ عن الجيران تصبح فضاله

وماله لا يكون ذا كرم وقد ترعرع في أحضان الطبيعة النجدية وبين شيوخ قبائلها متطبعاً بعوائد أهلها ((أما عوائد أهل نجد فهم لا يزالون متمسكين في أغلب سيرة العرب المتقدمين. منها إكرام الضيوف، وتزحيف الزحوف، وصف الصفوف في الحرب، وفيهم مأوى للغريب، وإكرام للقادم، ومواساة للجار، وأنفة وإنكار للضيم)) [٣]

وإن كنت تبحث عن شجاعته، فهو في الحق لا يخشى في الله لومة لائم شجاعة الفارس الكريم المتسامح دون تعصب لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وتسامحه كما قال فيه الشاعر:

قدامكم جاوان موف النوائب راع الشجاعة والكرم والتراحيب

١/معتاد بن عواد البيرق
٢/ مطني بن كهف المخلفي
٣/ وديع البستاني ، نبذة تاريخية عن نجد / ص ٢١٧

أما عن إقدامه واستبساله في المعارك، فكان جاوان فارس الميدان الذي سطع نجمه وعلا شأنه بين فرسان قبائل نجد في المعارك التي خاضها، وسجلها التاريخ بأحرفٍ من نور كما جاء في قول البيرق:

اللي له التاريخ يوم الحرايب   يوم المعارك والرماة المعاطيب

وفيه قال ابن كهف:

ليا ركب قباء واخذ كل مسنون   الخيل عن دربه تزايد أجفاله

لقد جمع جاوان البلحي من خصال الخير وصفات الشجاعة التي قل أن تجتمع إلا في فارسٍ أصيل الأصل والمنشأ، فخلدت ذكراه أقوال من عاصروه ورووا فيه وعنه نثراً وشعراً. فهو للشجاعة مقر، كما جاء في رواية الشيخ رباح عن والده الشيخ طعيميس الذي قال:

((إذا كان للشجاعة مقرّ تستقر به فإن جاوان البلحي مقرها)).(١)

وهو الذي جمع بين صفات الفروسية، وطبائع النفس الزكية فكسب مدح الشعراء في أشعارهم، ووصف الأوفياء في أقوالهم، وهيبة الأعداء في أفعالهم، وفي ذلك قال الشاعر مطني:

أخو جوية كاسب المدح بالكون   يوم الردي ما يوصل الماء حباله

١/ رواية الشيخ / رباح بن طعيميس بن مريخان

نسبـه

هو جاوان بن طلاق بن مشفق بن مطلق بن فرج ابن سعد بن مبارك ابن عامر بن محلف بن عويضه بن سليم ابن محمد بن رادس بن ميمون بن سالم بن حرب.

((قبيلة حرب قبيلة خولانية قحطانية يمنية استقرت في منطقة ما بين الحرمين الشريفين في آخر القرن الثاني الهجري واستطاعت أن توجد لها كياناً عشائرياً قوياً ابتداء من القرن الرابع)) (١)

وحيث أن هذا الكتاب ليس كتاب أنساب؛ لذا فلن نستعرض فيه فروع القبيلة وبطونها وأفخاذها بالتفصيل، وسنكتفي بالتقسيم العام للقبيلة ((إن قبيلة حرب المعاصرة والمكونة من قبائل كثيرة منها ما يدخل في القبيلة الأم بالنسب الصريح ومنها ما دخل في القبيلة بالحلف واندمج فيها ليكون قبيلة واحدة هي قبيلة حرب التي تنقسم إلى قسمين هما: ١/ بنو سالم ٢/ مسروح)) (٢)

((تم تقسم قبائل حرب إلى جذميها الرئيسين، وهما بنو سالم ومسروح ثم تم تقسيم بنو سالم إلى فرعين رئيسين أيضاً، وهما ميمون ومروح)) (٣). أما جاوان البلحي فهو من قبيلة ولد سليم التي تتحدر من جذم بني سالم وتنتمي لفرع قبائل ميمون.

---

١ / فائز موسى البدراني فصول من تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد / ص ١٠٥

٢/ نفسه/ ص ١٢٧

٣/ فائز بن موسى البدراني قصص وأشعار من قبيلة حرب / ص، ٢٩٩.

ولد سليم

ولد سليم خمسة أفخاذ أو أكثر هما عقب عويضة وعقب مسر وعقب عطية وعقب جمعة وعقب جماعة. ومع أن أفخاذ ولد سليم متعددة، لم يحدث أن توحدت هذه الأفخاذ خلف قيادة عقيد يجمعها أو يتزعمها في أي معركة أو مناسبة بل أن الفخذ الواحد لم ينفرد بزعامته زعيم ما أباً عن جد، ولم أجد ما يثبت ذلك وإنما أثبتت الغزوات المتتالية إقدام فرسانها ومصدر هيبتها تكمن في سطوتهم فقد قتل فرسانها من قبيلة واحدة سبعة عقداء في معارك مختلفة، ولولد سليم حما يل لها وزنها في القبيلة ومشيخّه في الكرم شأنها كشأن غيرها من القبائل العربية الأصيلة.

وفيما يلي سوف أعرض أخبار مختلفة لأسلاف جاوان البلحي نطالع في كل قصة طائفة من شيم العرب التي توضح مدى تأثره بسيرة أسلافه وسيره على نهجهم.

طــلاق البلــحي

طلاق البلحي مدرسة تعلم فيها جاوان علوم الفروسية، فهو بحر من شيم العروبة الأصيلة، والبداوة العريقة.اشتهر بالمواقف الحكيمة، والصفات الكريمة، فمن شمائله الكرم والجود مريح كنفه،ذو بصيرة ورأيٍ سديد، فصيح البيان طيب المعشر ذو عزمٍ وحزم.

ومن أخبار جوده نورد القصة التالية: حل في ضيافته أحد شيوخ قبيلـة حرب وجماعته ولاقى الجميع ترحيبـاً كبيراً وبعد استقباله لهم، سارع طـلاق في إعـداد القهوة وتقديمها لهم، ثم شرع في ذبح الذبيحة وإعداد الوليمة كعادته، عند إكرام ضيوفه وكان لديه قطيع من الغنم مخصص لمثل تلك الزيارات لا تذهب لترعى مع بقية القطيع ـ وفي أثـنـاء انشغاله بتجهيز الذبيحه همس ذلك الشيخ لرفاقه قـائلاً: ((انظروا إلى البلحي كيف نسي نفسه من أجلنا وأتى بشاته ليذبحها لنا)) لحظتها سمعه طلاق فلم يعلق حتى لا يكدر صفو واجبه في إكرام الضيوف فانهمك في مواصلة عملـه إلى أن أكمله ثم دعاهم لتنـاول الطعام فـأكلوا إرادتهم وبعد أن هموا بالقيام عن مائدة الطعام وجه طـلاق كلامـه لذلك الرجل قائلا لـه ((أشبع يا ابن فلان، والله أنني أقدمها لمن قدم ضيفاً علينا حتى ولـو كـان...فمن حل فـي ضـيافتنا وجـب علينـا إكرامـه فكيـف بصبيان حرب؟ ألم تعلم أن الرجال أقراهم مثل ألقاهم !)).

في تلك اللحظة أنعقد لسان الرجل ولم يستطع النطق بكلمة يبرر بها ما قاله أو يأوله، فتدخل الحاضرون ليبحثوا عن عذر يحفظون به ماء وجهه، فقالوا: ((أنها عثرة لسان يا أخو جوزاء ومنك السماح)).
وصدق الشاعر حين قال(١):

يصاب الفتى من عثرة بلسانه	وليس يصاب المرء من عثرة بالرجل
فعثرت بالقول تذهب راسه	وعثرته بالرجل تبر على مهل

و لطلاق البلحي مكانه بارزة في قومه، وله شأن كبير لدى شريف مكة وهو قائل المثل التالي:((أكتب يا شريف وقل بواردي))

١/ الشبراوي

مشفـق البلحـي

فـارس اشـتهر بضـراوة نزالـه فـي المعـارك، شـهد بشـجاعته الأعـداء الـذين عجـزوا عـن هزيمتـه فـي النـزال، فتقربـوا إليـه وطلبوا نسبه هذا ما سنرويه عنه في هذه القصة التالية:

حدثث معركة شرسة بين مشفق البلحي وسلمان منقرة بدأت المعركـة بينهمـا وهمـا علـى ظهـور الخيـل فتبـارزا فتـرة طويلـة أظهـر كـل منهمـا مهـارة عاليـة، وازداد التحـدي بينهمـا فتـرجلا ليواصلا المعركة أرضاً رجل لرجلٍ، ثم قال سلمان منقـرة: ((أنـا أخو سندا))، وقال مشفـق: ((أنا أبو سندا)) ثم اشتبكا بالأيدي فترة ولم يتمكن أحدهما من صرع الآخر فتوقفت المعركة بينهما.

عاد سلمان إلـى قومـه دون أن يظفـر بـأي غنيمـة، وبعد أيام قليلة من المعركة، قدم سلمان منقرة إلى مشفق زائـراً ليبدي لـه إعجابـه الشـديد بمهاراتـه القتاليـة وفروسيته المتميـزة، ثـم أبـدى رغبته في التقرب إليـه والتشرف بمصـاهرته والزواج من ابنتـه راغباً في النجابة والنسب فوافق مشفق علـى طلبـه وزوجـه ابنتـه سنـدا علـى أن يكون راشد شقيق سلمان وكيلاً لابنته.

رجع سلمان إلى قومه ومعه زوجته سندا، وقد كان له زوجة أخرى فحدث بينهما نقاش فقالت سندا ((إن سلمان لم يتقدم إلي من أجل جمالي، بل من أجل شجاعة أهلي وما فعله أبي بقومكم)) فأسرعت زوجة سلمان البلوية وأخبرته بما قالته لها سندا.

عزم سلمان منقرة أن يغير على إبلٍ لحرب كانت على طرف عن العرب فكسبها ثم حلب منها ناقة وذهب بحليبها إلى سندا ثم قال لها:((أشربي يا بنت البلحي الأولى خابت والثانية صابت إنه من حليب إبل أهلك)) وقدم إليها الحليب، إلا أن سندا ضربت الإناء بظهر كفها ضربة عنيفة حتى تطايرت قطرات الحليب وبللت يد سلمان و ثوبه، ثم فرت هاربة إلى وكيلها راشد الذي حماها حتى هدأ غيظ سلمان، وبعد فترة غزا سلمان ولم يعد من غزوه فرجعت سندا إلى أهلها ولم تنجب سوى بنت لقبت بالمنقرية.

هذه القصة تكشف عن اهتمام الفرسان بأصالة النسب وعنايتهم في البحث عن نسل يرث نجابة الأجداد متخطون لأجل ذلك حدود قبائلهم، وهذه عادة فرسان العرب منذ قديم الزمان، كما جاء في قول الشاعر العربي

وهل هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل
فإن انجبت مهراً عريقاً فبالحرا ... وإن يك إقراف فما أنجب الفحل(١)

وعن أهمية النسب العريق جاء في قول الفارس(٢)

عرب وليدك عربه ... والنار من مقباسها
العز بنساب النساء ... اللي عريبٍ ساسها

---

١ / الحدائق الغناء ص٢٤٥. وهند بنت النعمان بن بحر بن بشر
٢ / الشيخ الفارس مطلق الجرباء

فرج البلحي

((فرج البلحي من ولد سليم من ميمون)) (١) هكذا أورده فائز البدراني في كتابه من ضمن أسماء من حضر من قبائل ميمون من بني سالم الذين وقعوا على المعاهدة (٢) التي تمت بين بعض قبائل بني سالم وبني عمرو، في عام ١٢٤٥هـ.

ولقد كانت لهذه المعاهدة أهميتها وأهمية من وقع على بنودها التي جاءت في الوثيقة(٣) المؤرخة في ٢٤ شوال سنة ١٢٤٥هـ.

١/ فائز موسى البدراني - فصول من تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد الجزء الأول، ص ٤٠٠
٢/ للإطلاع على نص المعاهدة أنظر المرجع السابق ،ص ٣٩٥
٣/ دار الوثائق القومية - القاهرة وثيقه رقم ١١٠ دفتر ٤٠ معية تركي ورقه ٢٥ في ٢٩/ ٧/ ١٢٤٥ هـ من الجانب العالي إلى محافظة المدينة

سعد البلحي

هو حامل لقب البلحي الذي يعتبره أبناؤه وأحفاده وسلالته مفخرة لهم ولقباً يعتزون بحمله جيلاً بعد جيل كما لقب سعد ((بالدولاني)) حيث كان دولة متكاملة في شخصيته مستقلاً بقوته وعتاده يحسب لفروسيته ألف حساب اشتهر بفراسته وشراسة عقابه.

شن الدولاني غارة على قوم وكسب إبلهم وكان لهؤلاء القوم حلف مع بعض من قومه ولم يكن الدولاني على علم بأمر ذلك الحلف، فحاول جماعة الحلف من قومه إقناعه بإعادة الإبل إلى حلفائهم إلا أن الدولاني رفض إعادة الإبل حيث أنه ليس طرفاً في ذلك الحلف الذي تم دون علمه.

على هذا الأساس حصل خلاف بينه وبين قومه وقرروا التخلي عنه إذا لحق أهل الإبل بها، فلما عَلِمَ أهل الإبل بالخلاف الذي حدث بين البلحي وقومه لحقوا بإبلهم في محاولة استردادها بالقوة بعد أن يأسوا من استرجاعها بالعرف فأخذوها. ثم لحق بهم سعد وقال لهم: ((يا عيال أطيعوا شوري بأن تتركوا الإبل وركابكم معها)) فقالوا له: ((وحيدٌ ذليلٌ)) فرد عليهم بقوله: ((خذوها عن صفرة غزال الشداد فأصابها(١))) فرددوا قولهم السابق ((وحيدٍ ذليلٍ)).فقال لهم

---

١ / صفرة الشداد توجد في أعلى غزال الشداد والغزال هو مقبض راكب الذلول والصفرة بحجم نصف الريال المعني

((خذوها عن رأس العبـ...)) ثم صوب عليه رصاصة بعثرته إلى أشلاء فلما شاهدوا دقة تصوبيه انصاعوا صاغرين لأمره فتركوا الإبل وركابهم معها ورجع بها إلى أهله، ثم أتاه رجل من قومه وقال له: ((الحذية من الكسب يا أخو جوزاء)) فرد عليه البلحي قائلاً: ((أبشر بالحذية خذ الخلفتين الظيارى)) فساقهما الرجل وقال: ((والله إنني أستاهلهن اللي فكيتك من الرجال وهم جايينك مثل رقبت السوق)) فغضب عليه البلحي غضباً شديداً ثم أصابه بضربة بمؤخرة بندقه وقال له ((ما يفكني من الرجال إلا أنت يا زبيرة الأرضة، أذهب وآتني أنت وإياهم)).

فذهب إليهم الرجل ثم قال لهم: ((اقتلوه وأنا معكم)) فلم يجرؤ أيٌ منهم من الاقتراب إليه أو التعرض له. فأنشد سعد البلحي فخرًا واعتزاز بشجاعته القصيدة التالية.

قالوا وحيدٍ بالمغازي لحـالك ** قلت القطيع يفر من ريحة الذيـب

****

قالوا وحيدٍ بالمغازي لحــالك　　قلت القطيع يفر من ريحــة الذيــب

قالوا يذمونك ليا جاء مجــالك　　قلت أن لقينــاهم وجدنــا التـراحيب

قالوا يمينك خالفتها شمــالك　　قلت الشمال اللي خانت عزها تخيب

قالوا تخـالفنا وحنــا ذرا لك　　قلت تهبـون أنـا الذرى باللـواهيب

قالـوا تركنا الجو كلـه بقـا لك　　قلت انحروا حـر المضامي مغاضيب

قالـوا حلفناهم وثمّن مقــالك　　قلت إن حلفتـوا ردوا الفطر الشيب

أنا حليف السابق اللي قبــالك　　وشرفاً نصّوبها على الضد تصويب

وعِربٍ ندرّجها ترازم اقبــالك　　من فـودنا يـا تـاركين المـواجيب

ولد جاوان البلحي في ضواحي ينبع بالحجاز في آخر القرن الثالث عشر الهجري، ولم نتمكن من تحديد سنة ميلاده بدقة، وأغلب الظن أن ميلاده كان في عام ١٢٩٨ هـ.

نزحت ولد سليم إلى نجد مع ما نزح من قبيلة حرب لتستقر على امتداد وادي الرمة، وفي هذه المنطقة العريقة نشأ جاوان البلحي في كنف أبيه طلاق مكتسباً لأبرز صفات الشهامة والكرم، متشبعاً بمكارم الأخلاق والفضيلة، متشرباً لأصول الفروسية وفنون القتال.. فارسٌ مقدام شاع صيته وسما علمه في سماء القبائل النجدية.أصل من أصل سيف ومنسف، رمح وفارس، قصة بطولية - ولوحة شعرية، تاريخ فرسان وشاعر.

نشأ جاوان البلحي وترعرع مطبوعاً على عشق الفروسية، وما كان له إلا أن يكون فارس في بيئة لم تنجب سوى الفرسان، وفي حقبة تاريخية لم تشهد منها أرض الجزيرة العربية سوى المعارك والقتال، وفي أسرةٍ أربابها فرسان لها شوكة وأهل حميه وصوله في المعارك.. فارس ابن فارس أجداده في ميادين المعارك أعلام.

تبلورت فروسية جاوان البلحي واكتملت أركانها منذ نعومة أظفاره، وتكشفت لأنظار أبيه طلائع مستقبل فروسيته وشجاعته، فلاحت في الأفق ملامح الميلاد لفارسٍ مقدام لا يرضى إلا أن يكون في مقدمة الرجال، فلا هون ولا هوان!

لقد برزت إمارات النجابة، وتحركت مشاعر الفارس جاوان البلحي منذ صباه..حينما عقرت فرس أبيه في ميدان أحد المعارك فتأثر أبوه تأثراً عميقاً، وحزن عليها حزناً شديداً، كيف لا !؟وهي رفيقة معاركه التي طالما صال وجال بها، وحقق النصر معها، إضافة إلى شعوره المتفاقم بالهزيمة.. فما بالك بأن تعقر فرس الفارس في ساحة قتالٍ !!وكيف تكون حال الفارس بدون فرسه، وقد نشأت بينهما علاقة يضيق المجال لشرحها!! .

عندئذٍ أسرع فارسنا لانتشال والده من موجة حزنه وأشجانه مفصحاً عن مكنون نجابته المبكر قائلاً:((يا أبي الفرس صفرى سنون تغيظك.والله لأبدلك بخيرٍ منها)) فوثب وثبة خاطفة وانقض على سيف أبيه، فنزعه نزعاً ولوح به قائلاً:((إنه لي)).

كانت هذه الحادثة بمثابة الميلاد لفارسٍ كان أشهر من نارٍ على علم بين القبائل النجدية، وما النار إلا من مستصغر الشرر!!.

عندئذٍ أدرك والده ضرورة تنمية تلك المهارات البطولية وصقل مواهب الفروسية، وتأصيل معانيها في نفس إبنه جاوان. فبدأها بصفات الثبات والإقدام والشجاعة، مروراً بالإنفة وإنكار الضيم والحكمة ليختتمها بتعليم فنون الحرب والقتال، وأصول النزال.. حتى أصبح جاوان فارساً مؤهلاً لخوض المعارك كفارس ميدان بارع أجاد أصول منازلة الفرسان في المعارك، فأقر ببراعته القتالية وفراسته البطولية الأعداء قبل الأصدقاء لما اشتهر به من إقدامٍ باسلٍ، واختراقٍ مباشر لصفوف الأعداء مندفعاً دون هوادةٍ أو تراجع..متلقياً لأوسمة الرماح والسهام التي نقشت بأنحاء جسده صوراً لأروع الملاحم البطولية في الثبات والإقدام.

نماذج من أشعار جادوان البلعمي

قالوا أمان الله فإن كنت نصاح ** قلت الأمان ومعزلين السلاحي

جمع جاوان البلحي بين عزيمة الفارس المقدام وكل ما يلحق من صفاتٍ بالفروسية، كالفخر، والمروءة، والكرم، وإنصراف عن صغائر الأمور، وبين نظم الشعر الذي يليق بفروسيته، فنظم قصائده بلغة الفارس لا بهيام الشعراء في خيالات الأطلال؛ لذا خلا شعره من الغزل والهجاء، واحتشدت قصائده بألوان الشعر التي تتناسب وفروسية فارس ذاك الزمان...كالفخر والكرم، والمدح، والحداء، والرثاء.

هذا ما استنطبته من أشعاره عموماً، وفيما يلي نماذج من قصائده التي تبرز تلك الأغراض الشعرية في شعره

الـفـخـر:

نارد حياض الموت وأن صاح صياح ورد الضوامي للعدود الشحاحي

وقال في قصيدة أخرى:

يا دليم ما شرنا بهين والناس تدرى خطيانا

ومن أقواله أيضاً:

سقم المعادي ليا قمنا نضرب كما تضرب الدانه

الحكمــة:

بعض العرب زِين له لو شان   أدرى خمالــه بمعروفــه

الكــرم :

يا حمود دن المعاميلــي   وأجذب لهن نجرٍ ينادي
وأحمس وكثر من الهيلي   من جود ربي ليا جادي

المــدح:

سوقه على مايل الشيلي   يستاهله قرم الأولادي

الحــداء:

أصفر حصاني صقلن مزعافي   هو منوة اللي راكباً ومغير

الرثـــاء :

يا عضيدي ألا ليتك بصير   في نهارٍ على شانك جرا
يا عضيدي ترى شانك كبير   مـــا تحريت لايـّامٍ ورا

جاوازيرثي أخاه جويان

اللهمن حالٍ بها الهم جاري ** همن كواها مثل كي المطاريق

مات جويان موت الشرفاء.. وقتل اعزلٌ دون سلاح، دافع عن الشرف والمال وحيداً أعزلا، ولم يتخلى عن إبله فظل عثرة في طريق الغزاة، قاوم بكل ما أوتي من قوة، وبشهامة فرق خيل الغزاة، وشتت صفوفهم فاشتد غيظ أحدهم وثارت ثورة الجبن في دواخله.. متعجباً من وحيدٍ أعزل يفرق صفوف جموع من الرجال، فأطلق عليه رصاصة اخترقت صدره، بعدها صمت صوت جويان إلى الأبد، لتروي دماؤه قصة بطل قتل أعزلاً، وليروي الزمان قصة الخزي والعار لقاتله.. فالفارس الحق لا يقتل أعزلاً! فأين شهامة الفرسان؟وأين سمات الأبطال؟ من ذلك الفعل المشين بعروبة وفروسية أبطال ذاك الزمان.. بل دعنا نتساءل أين كان جاوان ؟وما علاقته في تلك الحادثة المؤلمة؟ وما صلته بقصة قتل أخاه جويان ؟ فأمه تلومه وتشير عليه بأصابع الاتهام أنت الذي قتلت جويان؟ فإلى مرثية جويان ثم إلى قصة تهمة قاتله جاوان!.

آخذت منه الميركه والسواري ** وخليت أخو جوزاء بليا معاليق

****

الله من حالان بهـــا الهم جاري
همن كـواها مثل كي المطاريـق

افاهق العبرات وادرى المــــزاري
من خوف لا تفرح عليّ النعاعيق

أبتصبّر صبــر مـــرٍ إجبـــاري
صبرٍ على بعض البلاوي فلا أطيق

عليك يا للـي مـا تجيب المـزاري
عليك ياللي تفرج الهم والضيق

أخوي يا عوق الخصيـم المثـاري
اللي علـى ثـاره سريـع الملاحيق

آخذت منه الميركـــه والســواري
وخليت أخو جوزاء بـليا معاليق

ما هو من اللـــي يلتجي بالمذاري
لو كان منهم كان ما جاني الضيق

أليا عثى بالخيـل يمنا ويســاري
خلـى طلا يعها شتـاتٍ مفاريـق

يثني وراء اللــي خالفته الطـوارئ
يثني وراء اللي ناشف الدم والريق

إن عشت لقض الدين عجلٍ جهاري
وان مت ما تشـره عليّ المخاليق

أشعر الجميع جاوان بأنه تسبب في قتل أخيه جويان، بينما ذهبت أمه إلى أبعد من ذلك حينما وجهت إليه تهمة القتل لأخيه بقولها:((أنت الذي قتلته)) فما يا ترى خفايا قصة القتل هذه!؟.

أراد جاوان أن يذهب لمبايعة ومعاهدة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله الذي كان متواجد في دخنة[١] ولهذه الغاية كان لابد له من فرس وبندقية.

طلب جاوان من أخيه جويان ما يلزمه في رحلته هذه، ووعده بسرعة العودة عند انتهاء مهمته فأمن له جويان ما طلبه وبقي أعزلاً وبلا فرس.. فأغار على جويان قوم وحدث له ما حدث.

وصل جاوان إلى حيث أراد، وحظي بشرف مقابلة الإمام والسلام عليه، ثم عاهد الإمام على السمع والطاعة، وأن يكون جندياً مخلصاً في صفوف حماة راية التوحيد، ثم عاد إلى قومه بضواحي عرجاء.[٢]

ما أن وصل جاوان إلى قومه إلا وشعر باستقبالهم الفاتر وشيئا ما يجري على غير عادته؛ فقد جرت العادة عند العرب أن يكون في استقبال العائدون من الغزو أو السفر من يمسك

١/ دخنه هجرة تقع جنوب محافظة الرس بالقصيم
٢/ عرجاء تقع بين المدينه المنورة والقصيم

بعنـــان الفرس أو ورسن الذلول - إلا أن جاوان في هذه المرة لم يحظ بمثل ما جرت عليه العادة من مراسيم الاستقبال فـأدرك أن هناك شيئاً ما قد حدث في فترة غيابه، فذهب إلى أمه، التي لم تعره اهتماماً، ولم ترفع طرفها لتنظر إليه فقبل رأسها، فلم تحرك ساكنًا ولم ترد عليه السلام ولم تبادله التحية، فخرج ليسأل من حوله ((ما الأمر ؟؟ ما فيكم)).

فأخبروه بأن أخاه جويان قد قتل، فصرخ فيهم: ((من الدي قتله ؟)) فردت عليه أمه قائلة: ((أنت الذي قتلته)) ساعتها علم جاوان مغزى قولها، فجاءت مرثيته في أخو جوزاء حارة يكتوي بنارها، طالباً من الله أن يفرج همه وضيقه، محملاً نفسه وزر قتل أخيه مؤيداً للتهمة التي وجهت إليه، وفي ذلك يقول:

آخذت منه الميركه والسواري   وخليت أخو جوزاء بليا معاليق (١)

ولكن هل أكتفى جاوان برثاء أخيه ؟ أم ثأر له من قاتله ؟ ذلك ما سيجيب عليه جاوان في القصيدة التالية

١/ جوزاء هي عزوة أل بلاحا

* * * * * * * * * *

ثارت في نفس جاوان ثورة تؤجج نار الثأر في صدره، وتطايرت في دربه شرارت من النار، فلم ير أمامه إلا لهيبها الذي كوى به الأعداء من بعض ما اكتوت به نفسه، فالجرح غائر،لا أمل لاندماله والقلب ينزف دماً من نفسٍ عطشى لا يشفيها سيل من دماء.

لم ينتظر جاوان إلى صباح اليوم التالي ليتأهب لمعركة ثأره، فقد جافى النوم أجفانه ؟، وبات يتقلب على جمرات مكتوياً بنار ثأره، متحرياً لنور الصباح، فطال أمد الليل وأنتفض جاوان من آلامه وسرى ليلاً فقد انقطع نور جويان، فلا صباح آتٍ ولا أمل لشعاع من نور أن يتسلل في نفس اكتست بوشاح السواد، فما أفجع أن يختلط على نفس الظلام والضياء ويتراءى لها مساواة الليل بالصباح في ليلة غاب قمرها حزناً على جويان.

سرى جاوان باحثاً عن القوم الذين قتلوا أخاه فوجدهم بريع ليس له إلا طريقٍ واحد ذو مسلك وعر، في ظلامٍ دامس، فاقترب وشارف بيوت الأعداء ليشعر بهناء نفوسهم من بين أصوات تعالت من مخادعهم، ومن حولهم أحلام نسجوها بقتل أعزل وكسب إبل.

سار جاوان نحوهم ليضيف إلى مقطوعة نومهم وقع حوافر فرسه، وكأنها طبول الحرب تتعالى كلما ازداد منهم اقتراباً. وما أن وصل إلى أول بيت إلا وأستيقظ صاحبه، فأمسك به جاوان وقال له:((أخبرني من الذي قتل راعي الإبل الفلانية، فإن لم تفعل سأقتلك)).وفي حينه قرر الرجل النجاة بنفسه وقال: ((سوف أخبرك على أن تعتقني)) فقال له جاوان: ((لك ذلك)) فقال الرجل: ((أن الذي قتله فلان وبيته في آخر البيوت)).

وبعد أن لاح في الأفق أمل الضياء أخلى جاوان سبيل الرجل، ليبدأ غارته في وضح النهار، فلم يتسلل ليلاً ليقتل أعزلاً نائماً، بل قطع عهداً على نفسه بانتزاع القاتل من بين أحضان قومه نهاراً جهاراً، فأغار غارته داعياً الفرسان إن كانوا هناك؛ لمنازلته. طالباً قاتل أخيه حياً لا مفاوضاً ليسلموه إليه، ففعل بهم ما فعل لم يثن عزمه صرخات نسائهم و أطفالهم، ولم يضعف همته تعثر فرسه فوق أشلاء أجسادهم، أو الرقاب المتساقطة عليه كالصخور فتسد الطريق أمامه، وفي عينيه تسيل دماء الرقاب المتناثرة حتى أغمضتها فصار كالضرير يمد قدمه ليتحسس الأشلاء فيتحاشاها.

إننا أمام هذه المعركة نقف عاجزين عن وصفٍ لها إلا على لسان فارسها الذي صور لنا ويلاتها التي أصابت قوماً نرى تطاير الرقاب وسيل الدماء في واديهم مرأى العين وكأننا من وصفه نرى أحداثها..

انشد الريع والواد المحير ** عن مسيلٍ جرى دم احمـــرا

* * * * * *

يا عضيدي ترى نومي قريـــر   في ضحـــى هيـةٍ رد البـــرا

أنشد الريـــع والـواد المحيـــر   عن مسيلٍ جـرى دم احمـــرا

يشبع الطير والسبع المغيـــر   يشبع الطير وسبـــاع الشـــرا

نشد اللي بعثته لك خبيـــــر   يوم زارك بيـــتٍ بالثـــــرا

أنشده عن صياح أم الغـــرير   يــوم تبكي على نـــاب القـــرا

يوم تبكي علـــى ولفٍ أسيـــر   يوم أخذناه عنـــوه وجهـــــرا

ما لقاله مفـــر ولا مطيـــــر   ضاقت الأرض واسعت العـــرا

والغواني تصيح وتستجـيـــر   من سبب نجمهن اللـي ســـرا

يا عضيدي ألا ليتك بصيـــــر   في نهارٍ على شانك جـــــرا

يا عضيدي ترى شانك كبيـــر   مـــا تحـــريت لايـــامٍ ورا

ما تـــوانيت لأيـــامٍ تديـــر   ولا تزودت من زين القـــــرا

نثرت الدم عندي مــــا غديـــر   لو ترويت ما ســـد الـــدّروا

وزرقة الرمح من جوف الشهير   ولوحت السيف والراس احدرا

دكت الأرض من شيءٍ يصيـــر   والـــرواسـي كساهن غبـــرا

يلحق اللوم من باعه قصيـــر   يختفـي بالمتـــاقي والـــذرا

نشد اللي رغى عقب الهديـــر   عقب ما هو جمل صار إعشرا

إذا تـأملنا أبيـات هذه القصيدة، نجدها وصفـاً لحالـة الصراع النفسـي الـذي استحكم بنفس جاوان؛ لـذا أفـرغت كلماتها كل ما في نفسه من مشـاعـر، فجاءت مختلطة المحتوى متصـارعة الرؤى، لكنها تتبع من قلب فـارس، لتصب في ميدان الفروسيـة بمعناها الشامل.

لم يذكرجاوان اسم أخيه صراحة، ولم يكنيه بكنيته بل اختار أن يناشده ويناديه بعبارة تفيض ألماً وحسرة وفقد أليم، عبارة.. تعبر عن مدى لوعة الفراق لفقد عظيم، فجاءت ((يا عضيدي)) أي - يا أخي - في ثلاثة مواضع متفرقة كان أولها في مطلع قصيدته، ثم جاءت في وسطها وفي بيتين متتاليين

يا عضيدي ترى نومي قريـر	في ضحـى هيةٍ رد البـرا
يا عضـيدي ألا ليتك بصيـر	في نهارٍ على شانك جـرا
يا عضيدي ترى شانك كبيـر	ما تحـريت لايـامٍ ورا

تمنى جاوان البلحي لو أن أخاه شاهد ما قام بـه لأجل الثأر لـه، حتى يطمئن أخوه عليه وهو في قبره، فهو الآن يستطيع أن ينام قرير العين هادئ البال، فما قام بـه كان واجب عليـه. فشأن جويان شـأن كبيـر، كمـا جـاء علـى حد تعبيـره((يـا عضـيدي تـرى شـانك كبير..)).

لقد كان جاوان يخاطب أخاه وكأنه حياً، حين دعاه لأن يسأل المواقع التي دارت بهـا أحداث المعركة الشرسة.

أنشد الريع والواد المحير عن مسيلٍ جرى دم احمرا

و في البيت الثالث أبلـغ فـارسنـا فـي تصوير الكم الهائل من القتلى، ثم يعود في البيت الرابع ليخاطب أخاه، وينشده بأن يسـأل من بعثهم إليـه وصاروا إلى ما صار إليه في عالـم الأمـوات عمـا فعـل بهـم، كمـا ينشـده أن يسألهم فـي البيـت الخـامس عن حال من تركوهم أحيـاء.. كيف كانت صيحات نسـاء هـم تتعـالى لهول المشـهد، فبيوت تهدم، ورجـال انقـادوا للأسر، بعد أن ضاقت من حولهم الأرض، فلم يستطيعوا فراراً، ولم يجدوا نجاةً إلا بذل الأسر.

يعـود جـاوان إلـى أرض الواقـع ليخاطـب أخـاه بعبـرات التمنـي.. ((يا عضيدي ألا ليتك بصير!!..)) فهو يـدرك بـأن أخـاه لـن يسمعه وأن من لحقوه في عالـم الموت عاجزين عن إخباره بما حـدث بعـده، فمـا مناشـدته لأخيـه إلا بقايـا مـن سلوى الـنفس وعزائها، فما فعله لأجله لن تصله بأي حال من الأحوال أخباره. وكأنه تمنى الصفح عن القاتل؛ ذلك مـا نلمسه متخفياً في البيت العـاشر حين يقول: (يا عضيدي ترى شانك كبير..) وكأنـه يقول : إن ما حدث كان شـر لابد منه فكيف أصفح عن قاتلك ؟ ولم أقوى على انتظار نور الصباح لأخذ الثأر لك.

بعد هذه المشاعر الممزوجة بنور المحبة والوفاء لروح جويان تأتي الأبيات الأخيرة كحد فاصل لصراع نفسي رهيب ألهبته أول قطرة سالت من دم جويان، لا ليكون هدف جاوان قتل قاتل أخيه فحسب بل كان متعة لفصل الرؤوس عن الأجساد، وتلذذاً بقطرات الدماء المتناثرة هنا وهناك، وسعادته في تتبع الرمح خارجاً من جوف فارس حاول الصمود في ساحة المعركة.. وأي معركة ياهذا!! إنها معركة الثأر لجويان.

أمسك جاوان بقاتل أخيه، وعاد به إلى قومه، وعندما أراد أن يجهز عليه ليقتله لم تتحمل أم جاوان رؤية ذلك المشهد فقالت له: ((درتي عليك يا جاوان أن تتركه))، فما أن سمع الرجل تلك العبارات إلا وأخذ يرددها مستدراً عاطفة جاوان: ((درت أمك عليك يا جاوان.. درت أمك عليك يا جاوان...)).

ماض مجيد وحاضر بطولي

نارد حياض الموت وأن صاح صياح ** ورد الضوامي للعدفود الشحاحي

قصيدة جمعت أمجاد الماضي العريق وبطولات الحاضر في ذات الطريق، ضمنها جاوان فخر المكاسب في المعارك السابقة، ببسالة الفرسان، وصمود الشجعان، كما ضمنها معركة شرهة الحاضرة للشهود العيان، ومن أجل شرهة كانت المعركة، ومن أجلها عموش صال وجال، ناداه جاوان فزعة لشرهة، فلبى النداء، فاستردا شرهة ولم يكتفيا برجوعها، بل نظير غيابها عنهما لحظات كان ثمن ذلك الغياب مكاسب وغنائم متنوعة شملت خيلاً وسلاحاً وإبلاً بعد معاهدة صلح كسب فيها الغزاة على شرهة الأمان، فإلى ذاك الزمان نعود ونسترجع ما قاله جاوان في قصيدة شرهة والغزو عليها.

* * * * * * * * * *

يا ما كسبنـا من مشـا ويل ولقـــاح وقبْن تنـازا بموردين الرمـاحـي

صويبنا من مطرحه وأن نهض طـاح عليه يلحقِ الصوايح اصياحـي

عاداتنا نشرب نـقـاريش الأقــراح ما نرتضي عقب القراح الملاحـي

نارد حياض الموت وأن صاح صيـاح ورد الضوامي للعدود الشحاحـي

جتنـا سباق الخيل سبّح وطفـــاح قبل طلوع الشمس والشوف باحـي

من فــوقهن كل أبلــج يبـل الأرواح وطار العسام ومعصب الراس طاحي

وقفوا على وضح عليهـا الشحم زاح متغانمينِ فـودهم بـانشـراحـي

متخيّرينِ ذود قــرمٍ ومصـــلاح أطلق عشايـرها تضح الصبـاحـي

وكنيت مشروبن سمك ريحه وفـــاح خيّال شرهه(١) يا غزيزة مـراحـي

١/ شرهه هي ناقه من خيرة إبله.

وناديت عيه عموش يا موف الأفراح　　شرهــه خذوها موسعيّن الجراحــي

وعنّيت فوقه يوم عج الـــرمك زاح　　ثم استدار بموقفــة ثم زاحــــي

ثم ضرب في مجمع الخيل ثم شــاح　　ثم أنحـــرف مرّة عليهـــا وزاحي

وعرضت شوري للمفاليح بصـــلاح　　منعا لنـــا يا طالبين الفــلاحـــي

قالوا ركايبنا تعود لنا فــــــلاح　　قلت الركاب إلنـــا وعلماً صحــاحي

قالـــوا أمـــان الله فإن كنت نصّـــاح　　قلت الأمـــان ومعزلين السلاحـــي

عادت لنا شرهه وأخذنا بها أربـــاح　　عادت لنا شـرهه وبالي ســمــاحـي

١/ عموش جواده

على ظهور الهجن

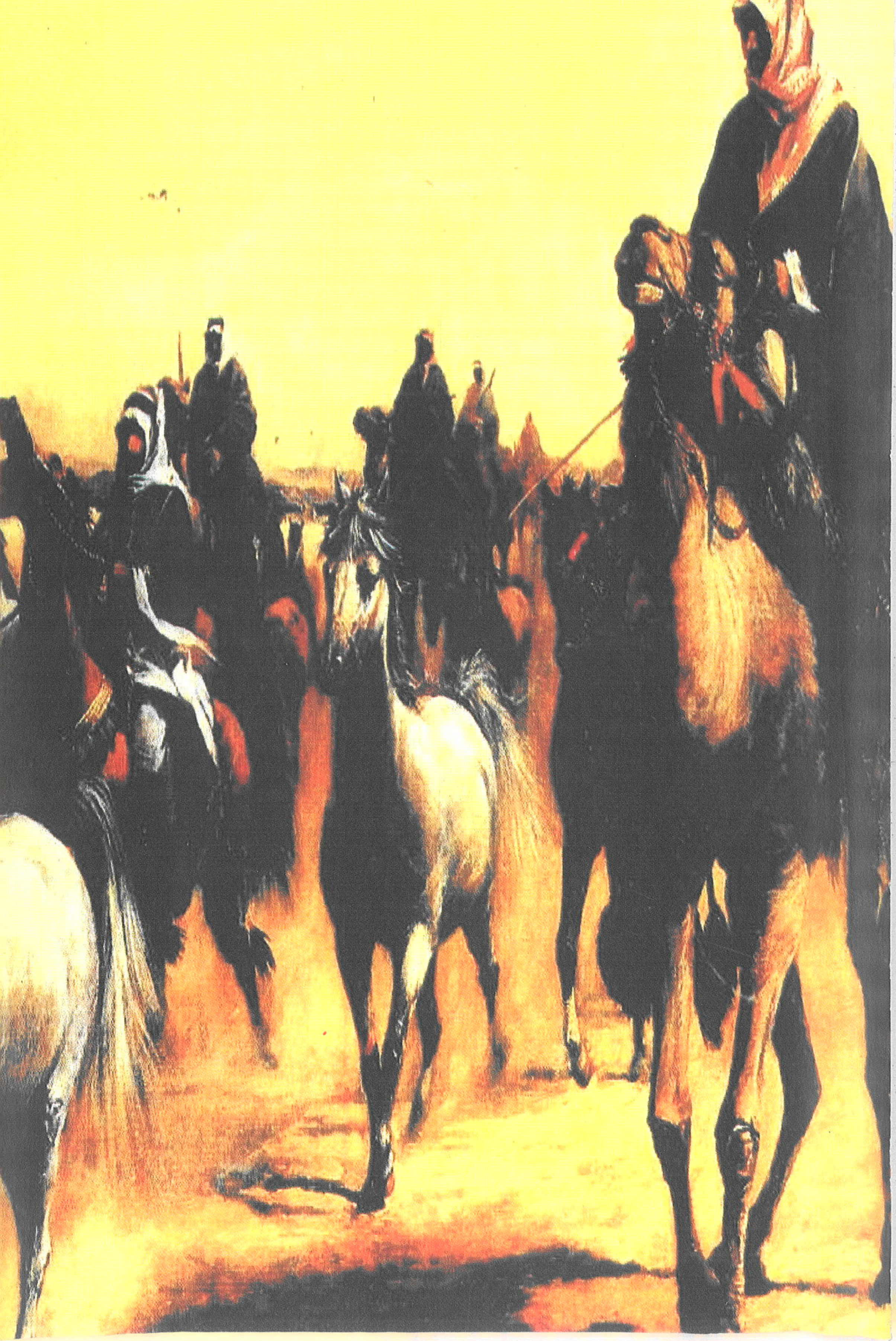
الهجن داجن وراجنـــا ** وصلن بلي همو ألاشرافي

قصيدةٌ تتساب كلماتها عذوبة، طافت هواجسها على نفس جاوان البلحي، فتغنى بها على ظهور الهجن ضمنها ذكريات البطولة والإقدام، فكانت قصيدة للفخر بالقبيلة وسرداً مجملاً لأدوار البطولة في الغزوات، وكمُ هائلُ من المكاسب والغنائم أنتزعها فرسان قبيلته بقوةٍ وعزيمةٍ وقد حفتها المخاطر التي لم تثنِ عزمهم أو ترهب خيلهم التي استمدت قوتها من قوة فرسانها، وسرعتها من تسارع أنغام معاركهم.

وسقنا جهاماً ينحنا ** على النقى واللهب ضافي

****

الهجن داجن وراجنا   وصلاً بلي هم والأشرا في
كم جادلٍ من سببهّنا   ودمعه على الخد خذافي
على أبلجٍ له تعشنا   في معترك خيلنا هافي
وسقنا جهاماً ينحّنا   على النقى واللهب ضافي
وقلايع ما يعدنا   من فود ذربين الاطرافي
واللي ثناء جر له ونا   يوم انتثر دمه الدافي
واللي على سابقة غنا   شرهن علينا بالوهافي
يوم أو هفت منه ثم منا   ثم انحرف كره وأعيا في



جاوان البلحي..رسالة شعرية

ما زال ما حطيت بالقبر وازي ** لأمشي على ناموس رأسي ودله

تلك كانت رسالته للفارس (جازي بن ربيق)[1] التي جاءت كلماتها حازمة، بعاطفة لرد المغازي صادقة، ولغة شعرية عذبة سائغة لا تكلف فيها ولا تصنع، فكانت ملحمة شعرية رائعة ذات إيقاعات موسيقية عذبة مطردة، وأجراس حلوة متناغمة وسلاسة تجعل لشعره وقعاً طيباً في النفس والعقل معاً.

وقصيدته هذه واحدة من عيون قصائده، تنطق بقدرته الفذة على التصوير الدقيق، والاستقصاء البارع في تناول أدق التفاصيل، وذاتيته المتميزة كشاعر، تلهب مشاعره ويصطلي بلهيبها.. فارس أفنى زهرة شبابه في ميادين القتال وساحات المعارك لتتفجر بها كلماته الشعرية وقوافيه صوراً بطولية.

أما مناسبة هذه الرسالة الشعرية التي تفجرت كلماتها عبراً تحث على رد المغازي فتكمن في إستثارة ضمنها جازي ابن ربيق أثناء ثورة غضبه التي تفجرت لوماً على من حوله حينما أبدوا تخاذلهم واتفقوا على مخالفة أمره.. فقالها بأعلى صوته:

((وين أخو جويه وين أخو جويه احلاه يا جاوان)).

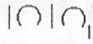
١/ جازي هو الفارس جازي بن ربيق العمري الحربي

فقد عزم الشيخ جازي بن ربيق وجهز لغزو قبيلة مطير - هكذا كان حال القبائل في تلك الفترة من تاريخ شبه الجزيرة العربية، غزو بعد غزو، ومعركة تلو أخرى - وكان معه بعضاً من رجال ولد سليم وبعضاً من رجال مخلّف فبعثوا بسبر للاستطلاع على مدى قوة خصومهم الدفاعية وتحصيناتهم لتجهيز ما يلزم لأمر الغزو، فعاد السبر يحمل أخبارهم التي كان مفادها أن قبيلة مطير أكثر منهم عدداً وعدة، وأدلى مجموعة السبر برأيهم - حسبما رأوا من قوة خصومهم - في تأجيل الغزو لأنه ليس من السهل الغارة عليهم حالياً.

هنا اختلفت الآراء حول ذلك الأمر، فمنهم من يرى التراجع وشن الغارة لاحقاً؛ بعد أن يعدوا لها العدة التي تكافئ عدة خصومهم، أما أصحاب الرأي الآخر فقد عزموا على الغزو وهموا على أن يغيروا الآن وهذا ما يراه جازي بن ربيق الذي أنفرد برأيه بعد المشاورات وانسحاب مناصريه وخالفه الجميع رأيه ورجحوا الرأي الأول الذي يرى عدم الغارة حالياً فانفجر جازي غضباً لهذا التخاذل والانهزام، مستنجداً برأي الغائب جاوان البلحي في هذا التخاذل والهوان صارخاً بكلمات التمني والرجاء:((وين أخو جوية وين أخو جوية أحللاه يا جاوان)) فلم علم جاوان بما حدث لجازي بن ربيق بعث بهذه الرسالة الشعرية حاثاً له بمعاودة الغزو، ولائماً له على مرافقة المتخاذلين متذبذبي الرأي.

****

يا راكب اللي ربعن بالـــــنوازي   حمرٍ من اللي وسمهن الأهلـه[1]
يا راكبه بلغ سلامي لجـــازي   بلـغ سلامي ثـم قلـــه وقلـــه
يا جازي بن ربيق رد المغـــازي   وأبشـر بفعل ناظرك ما يملـــه
لومي عليك مرافقة كل خـــازي   إليا حزمت الـرأي جاء من يفله
الله من كبد بها المر حـــــازي   متكايـــل فيهـا وعيت تزلـــه
كم واحد شرهاً على الطيب هازي   ولا ينذكر فعـلاً بليـا محلـــه
إن ساعدت لأجرها يا البــــرازي[2]   وإن خالفت والله مـاهي بذلـــه
عزي لرجل ما يبى الزود عـــازي   طول الليال وحالتــه مسمهلـــه
ما زال ما حطيت بالقبــــر وازي   لأمشي على ناموس راسي ودله

١/الأهلة هي وسم إبل جاوان البلحي 
٢/ الفارس براز بن راضي بن مريخان

عيبٍ على اللي ما فزع مع خويه * يشهد لنا شامان من رأس ثاني

قصيدة جاءت مناسبتها مؤيدة لأقوال قائلها بأفعاله، تكشف كلماتها عن نباهته ودهائه، رسم قصتها بخياله أثناء مزاحه، ودعا لله أن يحقق أمله ورجاءه، وعندما رماه القدر في حبال شباكه، أصابت الدهشة وجوه رفاقه، وصاح عيد منادياً شامان(١): ((يا شامان جاوان خاني)) فرد جاوان عليه بهذه القصيدة التي جسد فيها أروع المعاني عن فزعة الأخ لأخيه، وفيها كشف عن حكمة الفرسان؛ ففسر فيها كل ما صدر عنه في تلك الواقعة وذاك المكان.

١/ شامان هو الفارس/ شامان بن ثاني بن حبجر القلادي الرشيدي

عيبٍ عليه عزوةٍ في جويه ** غدر الرفيق ولدتٍ للسناني

****

يا عيد هاك اليوم وش قلت فيـه	في ساعةً فيها لك النور بـانـي
ناديت بأعلى الصوت زبن الونيـه	تقول يا شامان جاوان خـانـي
ويوم أقبلت تقـول لـوى هنيّـه	جانـا بها جاوان مـرخ العنـانـي
يـا عيد مـا والله نويت الرديـه	من بندقي وقطات بنت الحصانـي
عيباً عليه عزوةٍ في جـويـه(٢)	غدر الرفـيق ولـدتٍ للسنـانـي(٣)
عيبٍ على اللي ما فزع مع خويـه	يشهد لنا شامان من رأس ثـانـي
والله يا لولا السابق الثامريـه(٤)	تلحق بيوم اللي له المـوت دانـي
لصير أنا و شامـان حام الرديـه	ولنذوق مر المـوت بهـاك المكانـي

١/ عيد راعي إبل شامان ٢/ جويه : أخت جاوان ٣ / السناني : السيف ـ ٤/ الثامرية : فرس جاوان



أما تفاصيل قصة هذه القصيدة فتتلخص فيما يلي:

التقى جاوان برفيقه شامان بن ثاني الذي كان متواجد عند إبله، فأخذا يتجاذبان أطراف الحديث حول ذكريات بطولاتهما، وكان عيد يرعى الإبل على مقربة منهما، فسأله جاوان قائلاً له: «يا عيد آشجع أنا أم عمك شامان !؟» فقال عيد: «بل عمي شامان أشجع منك »، فتمنى جاوان جهارة أن تأتيهم غارة ليرى عيد بأم عينه كم هي شجاعته وبسالته، وخلال مزاحهم هذا فإذا بقوم تغير عليهم حقيقة وإذا بجاوان.. يمتطي جواده فاراً مخالفاً القوم والإبل! هذا ما تبادر لذهن عيد من ذلك التصرف معتقداً بأن جاوان خائن لصديقه مفسراً هجوم الغائرون باتفاق مسبق بينهم وبين جاوان ومن شدة هول عيد من تلك الغارة المباغتة صرخ صرخته التي ظنها الأخيرة..« يا شامان جاوان خاني »

وما أن أكمل عيد صرخته إلا وتمنى لو أنه لم يطلقها، فسرعان ما انطلق صوب الغائرين فارس مغوار مرخياً عنان جواده جاد بروحه لنجدة صديقه..هاهو جاوان ! ما خالف القوم الغائرين إلا لأجل أن تكعب(١) فرسه، وما ابتعد فاراً إلا لتزداد إندفاعته قوة صوب جمع الغائرين..سهم إذا انطلق استحال رجوعه.. مخترقاً صفوف المهاجمين مواجه، لا ولم يأتي بخلف ظهورهم.ليلقنهم درساً في الفروسية ويزيدهم علماً بالثبات، فالفارس السهم لا ترهبه عدة ولا عتاد حتى تفرق جمعهم وانكسرت شوكتهم ولاذوا بالفرار، وحتى لا يعيدوا الكرة ظل يطارد فلولهم لا ليبعدهم عن المكان ! بل طلب لمغنم أيقن الغائرون بأنه لا محالة كاسبه، ففضلوا أن ينجوا بأرواحهم مخلفين وراءهم قلايع من الخيل.

١/ تكعب بمعنى تبول الفرس ولا تغير الفرس قبل أن تكعب.

أما شامان فقد استبسل دفاعاً عن إبله، ورمى عدداً من القوم الغائرين وحال دون تحقيق مآربهم، حتى أصيب في كتفه إصابة بالغة.

تلك كانت أحداث هذه المعركة كما أوردها الرواة، ويبقى لنا الخوض في غمار ملحمته الشعرية التي احتوت على المعاني ذات الصبغة الفروسية، مؤكدة دروساً عميقة في نفس فارسها من ثبات وإقدام منكرة للتخاذل والغدر، معيبة غدر الرفيق لرفيقه أو عدم الفزع معه كما في قوله:

عيبٍ عليّه عــــزوةٍ في جــويه　　　غــدر الرفيــق ولــدتٍ للسنــاني

عيبٍ على اللي ما فزع مع خويه　　　يشهد لنا شامان من راس ثــاني

أما الصور الجمالية التي تبرز في قصيدة مقدرة جاوان البلحي في الإمساك بزمام الكلم ذكره لاسم رفيقه ((شامان بن ثاني)) الذي جاء منساباً في بحر شعره سلساً دون تكلف أو تصنع. وكذا فرسه الثامرية التي مثلت القوس الذي انطلق منه سهماً صوب صدور الغائرين. حينما أثنى عليها بقوله:

والله يا لولا السابــق الثامريــه　　　تلحق بيوم اللي له الموت دانــي

مقسماً بالله في البيت السابق بعدم التخلي عن الصديق في محنته، مقسماً بالله بأن الموت والهلاك قد دنا منهما لولا عناية الرحمن ثم قوة السابق الثامرية.

لصير أنا و شامــان حام الرديــة　　　ولنذوق مر الموت بهاك المكانــي

فـأنظر كيـف كـان تواضــعه ! ناسـباً النصــر إلــى الفــرس الثامرية، وهنا لا يسعنا إلا الإيجاز بالقول:((ماذا يفعل السيف إذا كـان حاملـه جبانـاً؟)) وأمـا الخيـل فمعروفـة مقولتهـا: ((الخيـل لخيالها)) .

يبقـى الإشـارة إلـى أن هذا الجزء.. ((جـاوان البلحـي..قصـة وقصيدة)) أظهرت مقدرة فائقة على التصوير لقصـة روتهـا لغـة شاعرٍ مطبوع ضمّن شعره أحداث قصته وأسماء أبطالها فكانت موجهة إلى ((عيد)) عندما نادى شامان.. قائلا: جاوان خـاني، فرد عليه جاوان..عيباً عليّـه عزوةٌ فـي جويـه.. ثم قـال:((لـو لا السـابق الثامريه)) كل هذه الأسماء جاءت في قصة شعرية لواقعة حقيقيـة بإيجاز محكم ولغة شعرية لم يغفل فيها عن تسمية الأعداء ولا المكـان ولكنـه أهمل مـالا يعنيـه ترفعاً وترفقـاً فليس من شيمته الهجاء واكتفى بإشارة لبقة حين قال:((بهاك المكاني))

الدخيــل

دخيل البيت عنك الهمزاحـــي ** فلا ترمل وشف صادق وعدنا

في القصيدة التالية سنحاول أن نسلك سبيلاً آخر يقربنا إلى هذا الفارس الشاعر الذي استطاع أن يعيش في ذاكرة الشعر الشعبي بقصيدته هذه؛ رغم أنها ليست من معلقات العرب ولا مذهباتهم.. فعند جاوان البلحي، ينعطف الشعر العربي الشعبي، ويتخذ سمتاً خاصة ومذاقاً متميزاً لشاعر مطبوع، يدور شعره كله حول موضوع واحد، ينبع من قلب فارس عشق الفروسية عزاً وفخراً، شاعر لا يهجو ولا يتغزل شأن غيره من الشعراء، ويعلن عن فخره بفروسيته واعتزازه بشجاعة قومه في شعره، ديوان شعره كله ديوان يدون تاريخ فرسان قبيلته.

إن هذه القصيدة - على بساطتها وقصرها - تركت آثاراً عميقة في أشعار كثيرين حاولوا استلهام الروح المفعم بالحياة لدى الفارس جاوان، وملكته الشعرية الفذة على التصوير الموحي، بأبسط الألوان والظلال.

يبقى بعد ذلك أن نشير إلى لغة هذا الفارس الشاعر وتراوحها بين الجزالة والجيشان والواقع الآسر في مستهل قصيدته.

يصيح الدخيل وقيل ناحي　　ترى بيته من الفرقان الأدنا

ثم يتحدث الشاعر عن شجاعته وفروسيته ومشاركته للفرسان والأقران، وكأنه يقول:((من للدخيل سوى ناحي الطرقي؟)). وكأنه يعطي لكل وجه من وجهي حياته وحياة قبيلته لغته الشعرية الموائمة في التعبير المواكبة في النفس والوجدان.

لذا جاءت قصيدته رائعة من روائع الفخر والإعتزاز بالقبيلة لا لأنها أدخلت دخيلاً في حماها.. بل لأنها أدخلت من لم يدخله أكثر العرب؛ لسبب ما... كان مبرراً لأن لا يدخلوه.

وبالرغم من أن موضوع القصيدة كان الفخر بالقبيلة إلا أن لغتها على شفتيه اكتست رداءها الفروسي، وطابعها العربي الأصيل، في رقة تفتن القلوب وتستهوي الألباب وديباجة جزلة متينة السبك غير أنها تفيض سلاسة وانطلاق؛ فكانت قصيدته سبيلنا للتقرب من شخصيته، نستقرئها حقيقة هذا الفارس الشاعر، وصورة صادقة من نفسه، نطل منها على وجدانه وأشواقه ومطامحه البطولية.

يقول جاوان البلحي افتخاراً واعتزازاً بقومه في ذلك الموقف...

****

يصيـــح الدخيل وقيل ناحــــي ترى بيته من الفرقان الأدنــــا

تزين عليـــه وصح صياحـــي علـــى زيزومنا مقـدم عربنـــا

تــرى بيته ذري أعن الرياحـــي ليا هبت هبوبٍ له وجـدنــــا

ودخل في ربعته شرقت صباحـــي وثارت بندقه وهـلل سعدنــــا

عقدنا الرأي وعمّرنا السلاحـــي عقـدنـــا الرأي ولمثلـــه عقدنــــا

بريق سيوفنا برّاق لاحــــي وردنـــا المـــوت لحياضه وردنــــا

وتهادرت الجمال من المراحـــي حداها الغيض يا ما أقوى غضبنـــا

غضبنا ما تنحيه النــــواحــــي ليا حانته وزلزل به رعدنــــا

زئير وسودهم يصبح نباحــــي ليا شافت ضراغمنا وفهدنـــــا

دخيل البيت عنك الهم زاحــــي فلا تزمل وشف صـادق وعدنــــا

وجانا ركب مرويت الرماحـــي وعرضنا الشور ولعرضـــه وجدنـــا

ثلاثٍ ما لهن رابع إصحلحـــــي مضي الحول أو صالـــي لهبنـــا

توافقنا على عرفٍ قـــــراحي نسوق السـوق ويفرق عددنـــا

ألا يا طير رفرف بالجنـاحـــي مداغيشٍ في الطولات سـدنـــا

تركنا العذب وأقرحنا الملاحـــي وعلى ممشـى قـدايمنا ركدنـــا

لنا بالمجد بـاع مــا يلاحـــي مواريثٍ نورثهـــا لولدنـــا

ألا يا ذئب صاحب بنشراحـــي ولا تخلـف وتشبع من نكدنـــا

لقانا المر والســم النحاحـــي ألا يا ذئب نشـد من شهدنـــا

يفيدك بالحقائق كل صاحـــي عواصيفٍ على الغيمة صعدنـــا

تضيق الأرض واسعت البراحـــي ألا وشيب عين اللـي عندنـــا

يفتخر جاوان البلحي في الأبيات التاليه بترابط قبيلته وتوحد كلمتها، ويصور لنا قوة فرسانهـا وعزيمة رجالها تصويراً بليغاً بلغة مؤثرة ترهب الأعداء، وتحذرهم ضمناً من مغبـة التهور، فجاءت كلماتهـا رعوداً مدويـة تلاشـى فـي ثناياهـا زئير الأسود، محول له إلى صراخ استغاثة فتدعو من يقرأها أن يعيد قراءتها عدة مـرات وتستحثه لأن يحفظهـا فهـي درة صـادقه نـادرة فـي ميادين الفخر بالقبيلة فأنظر قوله:

عقدنا الرأي وعمّرنا السلاحي　　عقدنا الرأي ولمثلـه عقدنـــا

وتهادرت الجمال من المراحي　　حداها الغيض يا ما أقوى غضبنا

غضبنا ما تنحيه النواحــــي　　ليا حــانته وزلــزل به رعدنــا

زئير وسودهم يصبح نباحــي　　ليا شافت ضــراغمنــا وفهدنــا

دخــيل البيت عنك الهم زاحي　　فلا تزمل وشف صادق وعدنــا

والآن عزيزي القارئ بعد هذا التحليل الموجز لرائعة الفخر هذه ربما تتساءل عن مناسبتها لتكتمل متعتك الفنية وتوثقها بالقصة التاريخية، فلك هذا في السطور التالية:

قتل رجلُ رجلاً آخر وكلاهما من قبيلة جهينه فدخل القاتل على أكثر من عرب، فلم يدخلوه لسبب ما.. كما أسلفنا، وأشاروا لـه بأن يدخل على بيت ((ناحي الطرقي)) وقومه وقالوا له:((فإنـه لا يدخلك إلا هـو))، فـدخل الرجـل فـي بيـت ((نـاحي)) واحتمـى بـه، إلا أن المخـاوف كانـت تسـاور نفسـه، والشـكوك تحيط بقلبـه؛ وكأنـه كـان يتساءل أين المفر؟ فأوشكت شكوكه أن تلقي به إلى التهلكة.. فكيف ترفض ادخاله أكثر العرب !؟ وبالمقابل تطلب جهينـه دمـه!؟ وهل أشارت إليـه العـرب بـأن يدخل علـى ((نـاحي الطرقـي)) ليحميـه؟ أم ليسلمه إلى قومه ؟ ومن يا ترى يكون((ناحي الطرقي)) ؟ ومـن هم قومـه الذين يستطيعون التصدي لفرسان جهينة؟.

تلك التساؤلات والشكوك كانت كالطلاسم في نفس الدخيل التي سرعان ما تبددت في رحلة نفسه من الشك إلى اليقين، عندما استدعى ناحي قومه آل محلف واجتمع بهم ليقص عليهم قصة الدخيل ويشاورهم في أمره الخطير؛ لاسيما وأن أكثر العرب رفضت إدخاله ! فكان كلما اختار وحداً من قومه ودعاه باسمه ليعرفه بالدخيل، ويقول له كلمه قصيرة: «يا فلان.. الدخيل» وجده أشد بأساً وأكثر حمية من الذي كان قبله، وكذا التفوا آل محلف حول رأي ناحي حتى أصبح الرأي رأيهم والدخيل دخيلهم وأخذوا يدورون حول دخيلهم ويحدون في حلقة تزداد اتساعا كلما توافد الفرسان، فاشتدت ضربات أقدامهم على الرمال، واختلطت شزر أنظارهم بهمهمة أصواتهم، لتصدر تارة كزئير الأسود، وتارة كهدير الجمال.

لم يمضي وقتٌ طويل إلا وأهلُ الرجلِ المقتول قادمون فتقدم إليهم ناحي الطرقي فقال يا جهينه ليس لكم عندي إلا الشروط التالية:

الأول: مضي الحول حتى يجد دخيلنا من يدخله بعدنا وهذا سلم العرب من قبلنا .

الثاني:أن تقبلوا بالدية التي سوف ندفعها إليكم ويحضر من يدفي دخيلنا ويرضى به

الثالث: إذا لم توافقوا على هذين الشرطين فالحرب بيننا وبينكم لا بديل لها ثم عمر بندقيته

تفاجأ أهل المقتول، وتلاشت مطالبهم التي ظنوا أنهم ليسوا بحاجة إلى ترتيبها، فيدفعهم تيار غضب جارف طالبين دم قاتل قتيلهم، ولكن أمام تلك الشروط التي اتضح لهم بأنه لا بديل لها، لاسيما وأن صرامة رأي((ناحي)) تدعمه قوة فرسانٍ أشاوس قليلون بعددهم كثيرون بعزمهم، ما وضعوا تلك الشروط وحددوها إلا بعد ثقة بالله في تحقيق النصر ثم بعزيمة الرجال التي لا تتوانى في الدفاع عن شرف القبيلة بحماية دخيلها.

عندئذٍ إتضح الأمر لعقلاء جهينة، فهو شرف قبيلة، وحجة أقوى من المطالبة بدم قاتل، وكأنهم تمنوا لو احتمى الدخيل بقوم غير هؤلاء! فالآن أصبحوا هم الذين يبحثون لهم عن مخرج فلا رجعة لهم إلا بتحديد خيارهم !عندها قال عارفة جهينة مخاطباً قومه:((يا جهينة إن الذين ترونهم أمامكم عازمون على ما هم عليه حتى وإن كان عددهم قليل وإنهم واردون على حياض الموت ولا نعلم هل الغلبة لنا أم لهم..فإن كانت لنا فإن الحرب لن تنتهي وسوف تأتيكم قبيلة حرب.وإن كانت الغلبة لهم فالمصيبة أعظم، إلا أنني أرى أن نقبل بالدية ويعود رجلنا إلينا فبذلك نكون قد كسبنا دية الرجل المقتول وعاد الآخر إلينا)).

فما كان لقومه إلا أن يوافقوه على رأيه، فما أوضحوا لم يكن خافيا عليهم، فدفع ناحي لهم الدية فقبلوها ثم عاد دخيله إلى قومه جهينة دون أن يمسسه أي مكروه وكأنه لم يقتل أحد.

ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نقول لا عمرت البيوت إذا لم تحمي دخيلها.

أوائل وأواخر قصائد جاوان البلحي

في هذا الجزء سنستعرض أربع قصائد لجاوان البلحي في مراحل مختلفة من حياته، في مرحلة شبابه و رجولته وكهولته، ففي شبابه يقول

لا تزعجين الصوت لا تزعجينه — على ضناك من العداء لا تخافين
لعيون من شبت عيوني بعينه — متحرين رد الفرج عجل في حين

ومناسبتها كان لطلاق البلحي جيران فأغار عليهم قوم وأخذوا إبلهم وشاهد طلاق إمرأه تعدوا وتصيح قادمة من صوب جيرانه فقد كان أبنها لوحده قد لحق بالقوم ليسترد إبله، ومن شدة خوفها عليه إن يقتله العداه طلبت الفزعة من جيرانها.

أما طلاق عندما شاهد المرأه تعدوا نحوه وتصيح، نظر إلى إبنه جاوان وخزه بنظره دون أن يتكلم ففهم جاوان معنى نظرة أبيه إليه وامتطى صهوة جواده في الحال ولبى تلك النظرة ولحق بالقوم واسترد الإبل من العداة في حينه. وتعد هذه القصيدة من أوائل قصائد جاوان التي قالها في مرحلة شبابه.

ومن قصائده في مرحلة رجولته في الفخر والاعتزاز والأقدام يتضح لنا من القصيدة التي يحث بها على الغزو والأعداد له وإنكاره للتخفي في الغزو فلا يحب أن يخفي غزوه على أحد، ويعيب على من إذا غزا يُخَفي أثره ويسير على الأرض التي لا يبين فيها الأثر أو يسير في منخفض ومنحدر الأرض فهو يحذر من ذلك ويراه شي معيب ويتضح ذلك في قوله:

عدوا ثلاث أيام وابروا عن القاع — واللي يبينا دربنا يقتديبه
مع كل مشرافٍ لنا فيه مرتاع — مشي الطمانه بالمناعير خيبه

وقصيدته الثالثة عن الجبناء المبغضين سليطي اللسان، فإنهم في وقت الفراغ يقولون ما يشاء ون ولكن عند الجد والحاجة لا يتجاوز ذلك القول أطراف ألسنتهم وعند الحزم يتبدد كل ما تفوه به اللسان، وأن الذي يتحدث في المجالس ويكون بليغ في الحديث ليس كالجسور الذي يخوض غمار المعارك وأهوالها.

هرج السعه راعيه يظفر على الكيف   كم هيةً خلى شلايل حمرهـا

في المجـالس فـارسٍ بالسواليف   هذي يسندها والأخرى حدرها

وآخر قصائده أسفه على جواده وشلفاه وبلوغه الثمانون عام وحسرته على فقدان شبابه وكيف تبدلت الليال البيض بالليال السود وإحساسه بفقدان مكانته نتيجة تقدمه بالعمر ولومه لمن لا يعرف قدره كيف كان. واليوم وصل به الزمان إلى هذه الحال فقصيدته هذه يخاطب بها نفسه ويجْبر عزاها

فارقـت قبّـاء فـي قراهـا نحني   بشلفى نرويهـا شباهـا سنينه

عشرين مع عشرين مع كثرهني   خَلن قـاس العظم يرجع إلينــه

****

لا تزعجـين الصوت لا تزعجينـه   على ضنـاك من العـداء لا تخـافين

صنع الفـرنجي للعــداء معتبينـه   ومن راس أخو جوزاء على الموت جسرين

لعيون من شبت عيـونـي بعينـه   متحريـن رد الفرج عجل فـي حيـن

مـا نحتري يا بوي هو راح وينـه   ولاني من اللـي ينتظر خزت العيـن

روحي لكسبـات النفائل رهينـه   وشرهن على اللـي للصعيبات شرهين

الطـرش لا يخـلفك لجت حنينه(١)   وصيـاح البنات المتـرفات المـزايين

---

١ /الطرش المقصود به الكثير من الإبل

أنا ولد عودٍ له الخصم ينصاع ** بالطيب وإلا بالفعول الصعيبه

****

أنا ولد عـودٍ له الخصـم ينصاع بالطيب وإلا بالفعول الصعيبـه

ليا ذكر لي مدهـلٍ فيـه مربـاع جـل العشـائر يرتعٍ فـي شعيبـه

وليا منها كثرت على الراس الاوجاع مـاني بمثبـورٍ طوتـه الغليبـه

عنيت للـي فقرهَـا شبـر وذراع بنت الحصـان اللـي عموقه نجيبه

وناديت للي حـولنا يبي الاطمـاع يا هل المهار اللي نسبها عـريبـه

عدوا ثلاث أيـام وابروا عن القاع واللي يـبـينا دربنـا يقتـديبـه

مع كل مشـرافٍ لنـا فيـه مرتاع مشـي الطمانـه بالمناعير خيبـه

من كثر ما ذوقتها المر والحيف ** ألطم مناخرها ويدمع نظرها

****

يــا دليم لا تسمـع لهـرج التزاييف	قول العداه اللي سطحنـا مررها
من كثر ما ذوقتهــا المـــر والحيـف	ألطم منــاخرها ويدمــع نظرها
هرج السعه راعيه يظفر علــى الكيف	كم هيــةً خلـى شـلايل حمرهـا
في المجــالس فـــارسٍ بالسواليف	هذي يســندها والأخرى حدرها
ناديت للرامـي بروس المشـــاريف	روس الطوال اللي شديدٍ سمرها
وقفت طلايعهـم شتـاتٍ منـــاكيف	مثل القطيع اللي تخالف إجررها
ولوما أرتوى من كفي الرمح والسيف	تلقـى الثعالب صيدها من نمرّهَا
لو ما طعنّـا عـارضتنـا صواديف	ولو ما طعنا ما نـزلنا خطرهـا
يـوم الردي قضــى حياته تحـاسيف	حنا نخوض أغمارها مع فخرها
نتلـي هوى دق البكار المشــاعيف	ليا شافهـا السبّار عينـه كسرها

فارقت ثنتين وهن فارقني ** فارقتهن فرقى الضنين لضنينه

****

فــارقت ثنتيـن وهـن فــارقنـي فارقتهن فرقـى الضنين لضنينـه

فارقــت قبّــاء فـــي قراهـا نحني بشلفى نرويهـــا شباهـا سنينه

عشرين مع عشرين مع كثرهني خلن قــاس العظم يرجع إلينـــه

ما كن عيرات النضـاء لي نصني في لازمن نقضيه عجـلٍ بحينــه

ولكنهن عــن غيــرنـــا جنبني ينصن من ترد الصمايـل يمينـــه

ولكنهــن مــع خايــعٍ زرفلنـــي مجهام وإلا في عشىٍ محترينـــه

ولكنهـن فـي رأس حــزمٍ زمّنـي يزّمْ السراب وشوفهن موكدينه

ولكنهن بقــدومنـــا رحــبني إبـــداه والا نـــازلين المدينـــة

واليوم خطوا اللاش يصـد عنـي ليـا شافني جنّب يسار ويمينـــه

واللـي يهرجنــي بهرجـه يمنّـي تقــول هرجه بالثمن مشترينـــه

من أقوال شيوخ القبائل

ما تعرفونه ! ! هذا من صقورنا اللي نهدها بأيام الهداد

من أقوال شيوخ القبائل في جاوان البلحي :

ما تعرفونه !! هذا من صقورنا اللي نهدها بأيام الهداد .. هذا جاوان البلحي.

لم ينل جاوان البلحي مكانة مرموقة بين أفراد عشيرته وفرسانها فحسب، بل مجده شيوخ القبائل الأخرى بأقوالٍ تفاوتت دلالاتها بين المدح والوصف وبين شحذ همم الرجال وإثبات الشجاعة للفارس جاوان.

لقد مرت علينا أقوال أصدقائه وأعدائه ووصف المادحين له في أشعارهم، أما ما سنستعرضه الآن فهو بعض مما قاله شيوخ القبائل عن شجاعته وإقدامه. ولتلك الأقوال أهميتها ومكانتها الخاصة فشيخ القبيلة هو زعيمها و الرمز الذي يلتف حوله جموع أفراد قبيلته فهو القائد الذي يتصف بالحكمة، وعليه يكون الاعتماد في الأمور الصعبة، وهو الذي لابد أن يمتاز بصفات القيادة الرشيدة ويتحلى بمزايا الصبر والصدق ويتمتع بنصيب وافر من الشجاعة والحزم وأن يكون الكرم والتسامح من طباعه و شمائله وأن يفخر بقبيلته كما هي تفخر به.

من هذا المنطلق ننقل بعضاً مما رواه الرواة عن زعماء القبائل في جاوان البلحي.

قال الشيخ/ طعيميس بن مريخان:

[إذا كان للشجاعة مقراً تستقر به فإن جاوان البلحي مقرها]

وكأن الشيخ طعيميس أراد بقوله هذا ((أن جاوان البلحي كان مدرسة للفروسية تخرج فيها أجيال من ولد سليم)).

لم يكتف الشيخ طعيميس في وصفه لجاوان بأنه كان فارسُ شجاعاً، لأن الشجاعة ليست وصفاً له، ولا صفة يتبع أصولها فيتصف بها، بل هو مقرُ لها، فلا ترد إليه فيتعلمها، بل هو نبع ومقر لها فيصدرها وينشرها. فما أبلغ هذه العبارة في الوصول إلى أقصى درجات الشجاعة التي يمكن لرجل أن يتمتع بها صادرة من صدر رجلٍ حكيم أشتعل رأسه شيباً، مرنته الظروف والتجارب، وشاهد من صروف الدهر ما شاهد، وعانى من قسوة الحياة ما عانى، شيخ وفارس تزعم مقاليد شأن قبيلته بحنكته وفراسته كل هذا يجعل من شهادته بمقولته هذه عن الفارس جاوان ميزان عدل ووصف صادق من جيل الآباء ليرويه الأبناء.

الشيخ / رباح بن غليفيص:

[ما تعرفونه هذا من صقورنا اللي نهدها بأيام الهداد هذا جاوان]

عبارة قالها الشيخ رباح بن غليفيص لجموع الأخوان مستنكراً عليهم عدم معرفتهم لعلم من أعلام المعارك وهو الذي ما خاض معركة إلا وكانت الغلبة لمن كان يقاتل في صفوفهم، صقر يحلق في أجواء المعركة ويعلو ثم يزداد في العلو؛ ولحدة بصره يحدد موقعها بدقه بعد أن يعرف طبيعة المكان قبل الانقضاض عليها .

ولجاوان البلحي نظرته الثاقبة على أرض المعركة.. فارسُ مقدام سريع البديهة، متقد الفكر، استطاع بحسه الفروسي الملهم أن يكشف الخدعة التي أنخدع بها الأخوان !! فقد كانت نيران القذائف المكثفة تنطلق من آلية واحدة وليس من جيش كما ظن الأخوان..إن صح هذا فهو دلالة على أن الذي يقوم بإطلاق النار شخص بمفرده !!، حلل جاوان الموقف من كل جوانبه فعقد العزم.ثم قرر الهجوم فترك الأخوان على شماله وكأنه منهزم فانخدع الأخوان كما أنخدع القائد التركي..وفجأة توقف دوي المدفع الرشاش وخمدت نيرانه برصاصة واحدة من جاوان أصابت القائد التركي. عندئذٍ وجد الأخوان الطريق إلى الحصن ممهدا فهجموا عليه بقوة، أجبرت الأتراك على الهرب والانهزام. وعندما دخل الأخوان الحصن وجدوا جاوان في استقبالهم، فقال الشيخ رباح بن غليفيص ((ألم أخبركم بأنه من صقورنا اللي نهدها بأيام الهداد)).

[سوق الفنجال على أخو جوية هو اللي يستاهله]

عبارة ترحيب وتكريم وإشارة لفضائل الأعمال وإشادة بالمواقف العظيمة، عبارة بسيطة لا تكلف فيها ولا مبالغة ذات دلالات عميقة فيها تقديم وتفضيل لفارس استحق التقدير على كافة الصعد والمحافل سلماً وحرباً.

الشيخ/ جازي بن ربيق:

[وين أخو جوية وين أخو جوية أحللاه يا جاوان]

عبارة قالها الشيخ جازي بن ربيق، تحمل في مضمونها معاني وعبر، فبينما يبرز في ظاهرها استنجاد بقوة فارس الفرسان تبرز أيضاً افتقاد تمثل في غياب جاوان وبعده عن المكان. ولكن المعنى البعيد الذي كان يرمي إليه الشيخ جازي ابن ربيق من هذه العبارة لهو أجدر بالتحليل والدراسة، فقد رمى لاستثارة حماس الفرسان، وكأنه يريد أن يقول «أليس فيكم جاوان آخر؟! أفإن غاب جاوان فقدتم الثقة في أنفسكم وتخاذلتم عن الغزو وأجلتموه ؟!ماذا تنتظرون؟؟ أتنتظرون عودة جاوان ؟؟!»

هذا ولقد تطرقنا لرسالة جاوان الشعرية للشيخ جازي بن ربيق ونذكر منها ما يلي:

يا جازي ابن ربيق رد المغازي وأبشر بشوفٍ ناظرك ما يمله
لومي عليك مرافقة كل خازي إليا حزمت الرأي جاء من يفله

الشيخ /سعد بن غنيم الجهني:

[جاوان حظيظ وحظه ركب حظ غيره]

مقولة أشبه ما تكون بمثل، تعبر عن التوفيق والمكانة التي نالها جاوان البلحي في شتى المجالات بأعماله، فهو فارس الميدان الباسل وقائد المعارك المحنك، أما مواقفه في السلم أعظم، فهو الكريم المتسامح، ذو الرأي السديد، الذي يعتد برأيه الشيوخ و الزعماء، صادق للصديق صدوق، حامي الدخيل. كسب مدح الشعراء، ونال إحترام الأصدقاء وقدره الشيوخ والزعماء، فضلاً عن كونه شاعر وظف شعره فخراً لتاريخ الفروسية، كل هذا لم يكن ضرباً من الحظ بمفهومه المألوف الذي تارة يصيب وتارة يخيب، إنما هو نصيب من العز والجاه والمكانة التي قد يحسده عليها زعيم قبيلة أو أمير، نصيب لم يكسبه وينال شرفه بحظ محض بل هو امتداد لإرث مديد، أصل أجداد عريق مهد له الطريق وفتح أبواب المجد على مصرعيها ليدخل التاريخ من أوسع أبوابه.. فكم هو حظيظ ؟!أي كثير الحظ دائم التوفيق نال من كل أسباب التوفيق أوفر نصيب.

الشيخ /جاسم بن براك الرشيدي:

[خلوه ينجلع بها أخو جويه]

إشارة لناقة ذلول كانت ضمن إبل كسباها - أي جاوان البلحي وجاسم بن براك - من جراء غزوهما على قبيلة الشرارات وفي طريق العودة إلى ديارهم اقتسماها، وبقيت ناقة من أجمل الإبل فقال جاسم لجاوان: ((هذه الناقة ستكون من عزل ابن رشيد حاكم حائل وسوف نبعثها إليه)) فرد عليه جاوان قائلاً: ((لا بل هذه الناقة من عزلي أنا وليست لابن رشيد)) فتجادلا طويلاً، ثم أمسك جاوان بالناقة وأخذها، فغضب قوم جاسم هامين باسترداد الناقة، إلا أن جاسم هون عليهم الأمر بقوله: ((خلوه ينجلع بها أخو جويه)). لم يرغب قومه الاحتفاظ بالناقة لأنفسهم، ولم يطمعوا في الاستحواذ عليها، ذلك لأنها ناقة أصيلة لا يستحقها سوى رجل عظيم يهابه القاصي والداني وما أراده الشيخ جاسم بقوله لقومه كأنه يريد: ((إن حرصتم على إهدائها لابن رشيد لتنالوا رضاه فأخو جويه أجدر بأن ترضوه فهو سبب من أسباب هذا الكسب وهو حاضر وبن رشيد غائب، وإن كان ابن رشيد في نظركم رجل عظيم، فأخو جوية عندي أعظم)). وكأنه بقوله هذا يحافظ على اتزان الأمور ويمسك العصا من وسطه.

تلك بعضاً من أقوال شيوخ القبائل وزعمائها الذين عرفوا جاوان البلحي، والتي استطعنا نقلها عن الرواة الثقاة وربما الذي لم يصلنا أكثر مما ذكرنا ونقلنا إلا أن عزاءنا فيما وصلنا لعله يكفي لنقل صورةٌ واقعية لجانب من جوانب شخصية جاوان البلحي.

شواهد شعرية

أخو جوية كاسب المدح بالكون ** يوم الردي ما يُوصل الماء حباله

كانت شخصية جاوان البلحي بين عشيرته جديرةً بالتقدير والإحترام؛ مما جعلها مادة غزيرة ونبع ينهل الشعراء من معينه؛ ليظموا شعراً صادقاً ينفذ إلى قلوب القراء كما كان يصدر من قلوبهم، فتلك صفة الشعر الرصين تمييزاً له عن الهزيل؛ فما حلّ بالقلب لابد أن يكون صادر من القلب؛ لذا سطرت شخصيته نموذجاً إنسانيًا وتاريخاً نقشته أعماله الفاضلة وبطولاته النادرة في لوحات الشعراء الخالدة على مّر العصور والأجيال، ولتعدد صفاته البارزة؛ تناول كل شاعر منهم ألوان محددة ضمنها إطار لوحته الشعرية ليبرز لنا جانب من تلك الصفات دون غيرها..

وأنت عزيزي القارئ بحسك الشعري، وخيالك التاريخي بإمكانك جمع تلك اللوحات الشعرية المتناثرة في لوحة رائعة لتسبح بخيالك في خضم تلك الحقبة الزمنية حيث ترى وجه الفارس جاوان البلحي يطل على ذاكرة التاريخ التي لا تمجد سوى من يستحق التمجيد بأعماله.

من المعروف لم يلق الشعر الشعبي عموماً اهتماماً بالتدوين حتى وقت ليس بالبعيد؛ حيث كانت تتناقله الأجيال وتتوارثه جيلاً بعد جيل عن طريق الرواة من الشعراء والمهتمين بهذا اللون من الشعر ومحبيه، وخاصة من كبار السن وشيوخ القبائل الذين يعني لهم الكثير؛ فهو تاريخ محفوظ في قلوبهم استدعوه واستشهدوا به كلما دعت الحاجة إليه؛ مما يجعل أمر فقده أو تحريفه أمراً واقعاً؛ مما دعاني لجمع أصح تلك الأشعار من الرواة الثقاة، وإهمال ما خالطني الشك فيه، أو الناقص منه.

من أبرز تلك القصائد ثلاث منها لشعراء معروفين، والرابعة لم أستطع التيقن من اسم شاعرها.

لیا رکب قباء واخذ کل مسنون ** الخیل عن دربه تزاید إجفاله

* * * * * * * * * *

يا راكبا من عندنا فــوق ما مـــون	حرٍ عريب الجدْ يزها دلالـــه
يشبه ظليمٍ مــع شفــا شيف وبيـون	سمع حساس وشاف نشرٍ بدالـــه
حرٍ يزبِن كـل من كـان مشحـــون	يطوي صحا صيح الخلا مع أسهالـه
يلفي لمن يعْرف في العِسر والهـون	جاوان من مثلــه سعد من عنالـــه
جيته وأنا صدري من الغيض مشحون	وإنجال عنّي الضيق من سمح بالـــه
والنار طول الراكب اللي يقولـــون	والنجر ينقــر صايرٍ لـه صلالـــه
والزاد يصبح ما لين كل ما عـــون	زودٍ عن الجيران تصبح فضالـــه
أخو جويه كاسب المدح بالكـــون	يوم الردي ما يوصل الماء حبالـــه
ليا ركب قباء واخذ كل مسنـــون	الخيل عن دربه تزايـد إجفالـــه

الشاعر / مطني بن كهف المخلفي

إليا لفنه موميات الجنائب ** تفرح به الضيفان هي والمعازيب

****

يا عيال ياللي فوق عوص النجـــايب يا اللي ركبتوا فوق شيبٍ محازيب

تريّضوا بالهون يـــا أهـــل الركايب بالله عليكم يا العيال المنـــــاجيب

خوذوا جواب مصحصح الرأي صايب مـــا هو بتضليلٍ ولا هو بتكـــذيب

ليا روساً فيكـــم حــرارِ النجايب اذكر لكم عند المعشــاء معــازيب

قـــدامكـــم جـــاوان مــوف النـــوايب راع الشجاعه والكرم والتــراحيب

اللي له التـــاريخ يـــوم الحرايب يوم المعارك والرمـــاة المعـــاطيب

قدامكم جـــاوان مـــا هوب غـــايب يرم العشاء للطير ومَسْلَـوَع الذيب

إليـــا لفنه مـــوميـــات الجنـــايب تفرح به الضيفان هي والمعازيب

الشيـــخ لـــو حطت عليـــه النصايب تبقى فعوله مع هلّ العرف ما تغيب

ولـد ولو قالوا له الناس شـــــايب ترضى به اللي عايفــه كـل خطيب

الشاعر / معناد بن عواد البيرق

لا بد من حيٍ يعود لحيه ** ونفرح بشوفك يا بعيد الهقاوي

****

يا راكباً من فوق خمسٍ نقيـــه	بنـات حر ولا داجن بالسنـــاوي
يلفن لربعن يحتمون الرديـــــه	ليا حصل بين القبائل عـــزاوي
يا مسندي يالقرم يا أخو جويــه	يـا زبن من كثُرتّ عليه البـلاوي
يا شيخ لا تكتب عليّه خطيـــــه	حتى تبيّن صادقات الدعـــاوي
غرّبت عنكم دون ذنب وجِنيـــه	ولَنْ مــاني عن جنبكم غنـاوي
ولا شوقتنِي من تراهـــا أحليه	لو عرّضتْ عنها حد ثنِي حداوي
لا بد من حيِّ يعـــوْد لحيـــه	ونفرح بشوفك يا بعيد الهقـاوي
ولا بد ما ننـدا منـــاد الغبيـــه	وشط الفرات أن بدله بالمطاوي

الشاعر / شليويح ناصر الطرقي

لا وهني فاطرك جاوان *** ترعى وأنا فاطري ردت

* * * * * * * * * *

لا وهنـــي فاطـــرك جـــاوان		ترعى وأنا فاطـــري ردت
ترعى الغبية وأبا الغبطـــان		ترعى من القفر ما صدت
يستهـــالـــك مقـــدم الظفران		وإن كان بعيونهـــا احتدت
يـــارد ليا صدر العطشــــان		ويشرب وكم جـــادل حدت
يا شوق من عطرها ريحـــان		وشقرٍ على ردفها كـــــدت
يا البيض ياللي بكن شرهـــان		غيره معيبه ليــــا ودت

في هذه القصائد الأربع منها ما صرح باسم جاوان كما جاء في بائية معتاد البيرق في موضعين هما:

قدامكم جاوان موف النوايب   راع الشجاعه والكرم والتراحيب

قدامكم جاوان ما هوب غايب   يرم العشاء للطير ومَسْلَوع الذيب

وأيضاً في قول الشاعر:

لا وهني فاطرك جاوان   ترعى وأنا فاطري ردّت

ومنها ما كني بكنيته ((أخو جوية)) كما جاء في القصيدة الأولى للشاعر مطني:

أخو جويه كاسب المدح بالكون   يوم الردي ما يوصل الماء حباله

وكذلك في قول الشاعر شليويح الطرقي:

يا مسندي يالقرم يا أخو جويه   يا زين من كُثْرَتْ عليه البلاوي

بدع مشاش جاوان

تبي من الغراء ليا مشاش جاوان ** الموقع اللي مزربابه بعوده

(هجرة البدع ـ أميرها جاوان البلحي) (١) **هكذا أوردها الأستاذ** عبد الله العلي المنصور، في كتابه ((أصدق البنود)) عند تصنيفه لأمراء الهجر وتسجيل تاريخ البادية بعد التوطين والتطور الحديث.

لقد أحدث جاوان البلحي هجرته التي تولى إمارتها بعد أن أطلق اسمه عليها بموافقة من جلالة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله حتى أصبحت هجرته تعرف باسم ((بدع مشاش جاوان)). وتجدر الإشارة إلى أن بدع مشاش جاوان والتي تقع بوادي الرمة هي هجرة البدع لقبيلة حرب غير هجرتا البدع لسبيع والبدع لبني مرة. وفيها يقول الشاعر:

جاوان يا راع البيوت الرفيعة   بواد الرمة مثل الهضاب المشاريف

ولقد جاء تصنيف بدع مشاش جاوان ((البدع ـ حرب)) (٢) في الهجر بأسمائها من ضمن هجر القبائل لقبيلة حرب التي ينتمي إليها جاوان البلحي.

١/عبدالله العلي المنصور الزامل ـ أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ ص٢٧١
٢/عبد العزيز محمد الاحيدب ـ من حياة الملك عبد العزيز الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ص ١٩٢

ارتبط مشاش جاوان باسمه ارتباطا وثيقاً، فما تغنى الشعراء ببدعه إلا وجاء ذكر اسمه تعبيراً عن رحابة المكان بأهله. وفيما يلي لمحات عن روعة المكان الذي تغنى الشعراء بجماله وهدوئه، وبطبيعته التي تأسر نفس كل من مرّ به، أو استقرت به إبله فترة من الزمن ثم ارتحل عنه ونـأى، ليعاوده الحنين إلى ذلك المكان مرة أخرى، هذا ما عبر عنه الشاعر بقوله:

تبي من الغراء ليا مشاش جاوان   الموقع اللي من ربا به يعوده (١)

أبدعت قريحة الشعراء في وصف روعة البدع وجمال طبيعته وخصوبة مراعيه واتساعها، وكرم أهله وترحيبهم بكل قادم إليه. فالشعر سلوة العرب ود يدنهم منذ أن نظموه في قوالبٍ وجعلوا له قواعد وأوزان ينقله الخلف عن السلف ويرويه الأبناء عن الآباء فهو ديوانهم ومصدر تاريخهم، وحافظ تراثهم.

قال الشاعر في وصيته لرفيقه الغريب عن المكان - من قبيلة عنزة - ناصحاً له بأن لا يرد في هذه البقاع إلا على مشاش جاوان ليضمن المرعى الخصب والراحة النفسية، وكرم أهل الديار وحمايتهم. حيث قال:

خل الهدايم على يسراك   و ارِد على مشاش جاواني
اللي ليا جيتلـه أسقاك   ومقـابله يجـل الأحزاني

١/هواش بن عائد

وقال شاعرٍ آخر عن البدع وموقعه ومكانة راعيه ما يلي:

جاوان يا رع البيوت الرفيعـــه بواد الرمة مثل الهضاب المشاريف(١)
راعي دلالٍ بنهـــا ما يبيعــــــه يشري لها سربال ما يسْعِرْ أنصيف

كما قال آخر مؤكدا تفضيل البدع على سائر الديار الأخرى مكنيـــاً راعيه بكنيته أخو جويه في مدحه لشخصه فضلاً عن ديرته حيث يقول:

يا رجم ما فلاّ حواليك قطـعـان في ما من عن كل سبراً يرودي(٢)
يندى الغبية ما ردة عدّ جاوان عدٍ سقاه السـيل بد العدودي
عزٍ لنا يوم القبائل لها شـــان حنـا لنا شــــانٍ عظيمٍ بزودي
أخو جويه يوم روغات الأذهان له سابقٍ تضرب مثان الجرودي

١/ جريد بن غنيم
٢/ سليمان بن ثنيان

وكما كان مشاش جاوان مأوى ومرعى، وبيت عز وفضل وكرم، كان بطبيعته الخلابة ملاذاً لقلوب العاشقين، ومصدر إلهام الشعراء الذين ذرفوا الدموع دمًا على أطلاله كلما ارتحل عن جنابه الأحباب وتمثلت عن الفراق أسباب. وفي هذا الجانب قصة يتداول كثير من الناس قصيدتها المشهورة غير أن أكثرهم لا يعرف قائلها، ويكفينا التعرف على شخصية قائلها من خلال وصفه الدقيق لمشاعر الفراق ولهيبه، وذكرى أضرمت النار في قلبه، فأحترق ولهاناً لرؤية معشوقته التي التقاها لأول مرة في هذا المكان، فأصابه سهم الهوى الذي انطلق من أرجاء ذاك المكان وفي أجوائه كان الفراق.

جعل الحياء لمشاش جاوان ما احلاه ** لعلها تكثر عليه الورودي

****

جعل الحياء لمشاش جاوان مـا أحــلاه	لعلها تكثـر عليـه الــورودي
اللي شرب مر كوز الأ نهاد من مـــاه	واليـــوم بين خصيّه والبـــرودي
عسى السحاب الغــر تملى ركايـــاه	والعشب في مقطـــان خلي يزودي
يلتاع قلبي كل ما حــل طـــريــاه	كمـــا يلوع الحر خربن يعـــوودي
يا العين مـــا تبكين خــلٍ فارقتـــاه	جودي بصف الدمع يا العين جودي
لا و عشيري كل مـــا قلت ابنســـاه	يطـري عليّه والخـــلائق هجودي
يا من يخبرني عنه وين أبلقـــــاه	مـــا من مـدا وير ولا احدٍ يرودي
الله علـى حـــرٍ نجيبٍ عـــرفنـــاه	قطع الخلاء والدّوْ له ما يكـــودي
كـم ابـرقٍ واقه والآ خر تعـــداه	وليـا هاديته كنٍ شلـــه يزودي

وثائق وتعليق



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

ديوان سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي

الرقم

المرفقات

التاريخ ٢٠/٦/١٣٧٥

من عبد العزيز ابن ابن جلوى الى الاخوا ن الكرام جا ن ء البليكي وجاسم

سلام عليكم ورحمه الله وبركاته وبعد فقد تحققنا ان اليهود لعنهم الله مطلعين لهم جواسيس على انحا المملكه وانتم انشا الله تحرصون وتطلعو ن نضركم وتوصو ن طوارفكم والذي تجدو نه او يذكر لكم وهو مشتبه ولاتعرفو نه تلقو ن عليه القبض وترسلونه لنا لاجل نا نتحقق معه ويكو ن لديكم معلوم انه اذا ان بلغنا ان طابن عليكم احد مشتبه ولامسكتو منه وارسلتو ه لنا فالمسوليه عليكم احرصو على ذالك وبالله ثم بكم كفايه هذاما لزم والسلا م ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

التعليق على الوثيقة الأولى

كان الملك عبد العزيز - رحمه الله - يدير الشؤون العامة للبلاد خلال جهوده العظيمة لتوحيدها وبسط الأمن في أرجائها فحقق الله على يده وحدة أجزائها وحلول الأمن في ربوعها، كما رسخ تلك الوحدة وذلك الأمن بما سنه من تنظيمات ونفذه من أعمال في ميادين مختلفة من أمــور الحياة.

لقد تعامل الملك عبد العزيز مع الظروف المحيطة به بحكمة ومهارة.فــأدار أمور البلاد بسياسة رشيدة كان من أبرز معالمها تطبيق الشريعة الإسلامية، واستشارة ذو الرأي الصائب من أمراء الحاضرة و شيوخ البادية. ((ولقــد استفاد من بعض الشخصيات النجدية المتعلمة، التي كانت تعيش خارج منطقــة حكمه خلال العقدين الأولين فكانوا نعم العون له سواء منهم من بقي في القطر الذي يعيش فيه، أو من قدم إلى نجد وعمل تحت رايته، واحتل مناصب مهمة لديه)) (١)

((ولقد تدبر الملك عبد العزيز سيرة أسلافه في الحكم. فأعجب كثيرًا بما حققوه من نجاح في الميدان الأمني.لكنه لم يقتصر على اقتفاء أثرهم في ذلك فقط، بل تجاوزه إلى الإتيان بأفكار رائدة، وسن تنظيمات جيدة، مما جعل جهوده تؤتي ثماراً وفيرة الخير مستمرة النماء)) (٢)

١/ تاريخ المملكة العربية السعودية - الجزء الثاني ص ٢٩٩، ٣٠٠
٢/ نفس المرجع ص ٣٣٢

لقد وضع الملك عبد العزيز أسس الأمن الشامل، واعتمد في تخطيطه لتحقيق ما كان يهدف إليه في المجال الأمني على أسس متينة من كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - حتى تحقق ما تحقق من نجاح أمني تحدث عنه بإعجاب كبير كل من القاصي والداني.

إن التقدم والازدهار وحياة الرفاهية التي نعيشها اليوم ما هي إلا نتيجة الجهود الخارقة التي بذلها قادة الدولة السعودية الأولى في مجال الأمن، وما حققوه من نجاح عظيم في مساعيهم لتوحيد البلاد تحت راية التوحيد وتطبيق شرع الله فلا عجب أن تحقق المملكة نهضتها الشاملة في زمن قياسي باعتراف أكثر الدول تقدماً، ولا عجب أن تصبح مضرب المثل في رسوخ الأمن والاستقرار.

إن من أبرز الجهود المباركة التي قام بها المؤسس الملك عبد العزيز في سبيل توحيد المملكة تركزت في استشارة ذوي الرأي الصائب من أمراء الحاضرة وشيوخ البادية؛ مما يدل على حكمة القائد وحنكته السياسية في إدارة أمور تلك الربوع المترامية الأطراف ودقته المتناهية في اختيار الشخصيات التي تعمل تحت رايته بصدق وولاء فأمّر سمو الأمير عبد العزيز ابن مساعد بن جلوي على منطقة حائل الذي قام بدوره في بسط

أسباب الأمن بيقظة ومهارة تأكيداً لاستمرار المنهج القويم والمبادئ السامية التي قامت عليها المملكة. فاستعان ابن جلوي بشيوخ البادية في تحقيق الاستيطان وفي بذل الجهود للقضاء على الصراعات القبلية، وكل ما يتنافى مع تعاليم الشريعة الإسلامية والدعوة لممارسة الواجبات الدينية كما ينبغي. ونجحت تلك الجهود أيما نجاح في استتباب الأمن ورسوخه بمساعدة المخلصين من أبناء هذا البلد المعطاء. وكان هذا منهج الملك عبد العزيز طيب الله ثراه؛ فالاعتماد على النفس أساس انطلاقته، والاتكال على الله عقيدته وسلاحه.

كان الملك عبد العزيز فطن ينشد المعونة وعبقري يطلب الدعم، وحكيم يستشير ذوي الرأي الصائب، ويتجنب سطوة الدول العظمى وأطماعها التوسعية؛ لذا كان متأهب لكل متربص سولت له نفسه زعزعة الأمن وإشعال نار الفتنة بعد أن أخمدها الله بعزيمة المؤسس وبمعونة الصادقين العاملين بدعوة أبي الأنبياء- إبراهيم عليه السلام- كما جاءت على لسانه في قول الله تعالى ((إذ قال إبراهيم ربي اجعل هذا البلد آمناً وأرزق أهله من الثمرات)). (١)

وبعد أن من الله على المملكة بنعمتي التوحيد والأمن شاءت قدرته أن يتحقق الشطر الثاني من دعوة نبينا -إبراهيم عليه السلام- في عهد المؤسس فأخرجت الأرض كنوزها، وعم الخير أرجاء المملكة.

١/ سورة البقرة آية ١٢٦

ولما كانت المملكة قبلة المسلمين ومهد رسالتهم، فقد شهدت منذ الفجر الأول للإسلام أحقاد اليهود ومكائدهم في إخماد نور الرسالة، لا لنزعتهم الدينية بل لمصالحهم التجارية والاقتصادية في منطقة الجزيرة العربية.

إن التاريخ الإسلامي سجل أحقاد اليهود ومحاولاتهم الفاشلة في إشعال نار الفتنة ومشاركتهم المباشرة والغير المباشرة في المعارك التي خاضها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد؛ لذا كان لابد من إخراجهم من تلك البقاع الطاهرة تدريجياً إلى أن تم طردهم نهائيًا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه- مما دعاهم لأن يتسللوا إلى داخل أرض المملكة بذرائع متنوعة وجنسيات مختلفة في أحقاب التاريخ المتلاحقة من تاريخنا الحديث، ولكن هيهات أن ينجحوا في مساعيهم بعد أن تحققت دعوة نبينا - إبراهيم عليه السلام -في عهد المؤسس الذي غرس أصول التوحيد الثابتة وتعهدها بعده بنوه؛ فواصلوا رعايتها وعنوا بخدمتها.

إن الوثيقة التي بين أيدينا تكشف لنا عن مدى حرص القائمون على أمر هذا البلد وأمنه في استغلال طاقة أبنائه وتوظيفها في الحفاظ على وحدة أراضيه كل حسب قدراته؛ لذا كان اختيار سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي اختياراً موفقاً للرجال الذين تحملوا عبء تلك المسؤولية وعلى رأسهم جاوان البلحي الذي امتاز -كما أسلفنا- بالعديد من الصفات التي تؤهله للقيام بمثل هذا العمل الوطني المشرف على أفضل وجه، ويكفينا من صفاته في هذا المجال الذكاء والتضحية والولاء.

الخطاب الوارد		مسودات	الخطاب الصادر	
عدده		امارة ____	عدده	
تاريخه			تاريخه	
قيده		[illegible]	مفقوداته	

من عبد العزيز [illegible] الى جناب الاخ [illegible] جابر [illegible] سلمه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام انه عن [illegible] نعمة الاسلام وبعده الخط
وصل وما ذكرتم كان معلوم خصوص من طرف وفاة [illegible] رحمه الله
[illegible] وينفعه وانكم تريدون ان ولده محمد يكون في محل ابوه لا بأس بذلك
قد عرفنا العمل والاخذ ان اهل [illegible] بموافقتنا على [illegible] ان شاء الله
[illegible] ١٨ [illegible] ١٣٧٥

إيضاح لنص الوثيقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن مساعد بن جلوي إلى الأخ المكرم جاوان البلحي
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته على الدوام أدام الله علينا وعليكم نعمة الإسلام وبعده الخطاب وصل وما عرضت كان معلوم خصوص من طرف وفاة دبيان ابن غادن الله يرحمه ويغفر له،وإنكم ترون أن ولده محمد يكون في محل أبوه لا بأس بذلك، قد عرفنا العميل والأخوان أهل النحيتية بموافقتنا على محمد إنشاء الله إن فيه بركة وسداد. هذا ما لزم بيانه
في ١٣٧٥/٩/١٨هـ

تعليق على الوثيقة الثانية

لقد نال جاوان البلحي مكانة مرموقة بين عشائر البادية في زمن الصراعات القبلية، كما امتاز بتقدير خاص من شيوخ القبائل وزعمائها قبل التوطين والتطور الحديث، ثم حظي بشرف موافقة جلالة الملك المغفور له عبد العزيز رحمه الله على توليه إمارة ديرته «بدع مشاش جاوان» بعد أن نجحت فكرته الرائدة تجاه البادية، واستوطن كثير من أهلها في (الهجر) وأصبحوا (إخوانا) صاروا في طليعة قواته الداعية إلى توحيد الجزيرة العربية، ومحاربة البدع الشركية، وأحياء السنن المحمدية.

ثم جاءت هذه الوثيقة الخطية لتؤكد مسيرة العطاء والولاء - حتى بعد وفاة الملك عبدالعزيز في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ فما زال جاوان البلحي يتمتع ببعد النظر، وحكمة الحكماء، مما دعا سمو الأمير عبد العزيز بن جلوي أن يأخذ بمشورته حتى في اختيار أمراء الهجر، وبهذه الوثيقة نستطيع أن نضيف إلى تاريخ جاوان البلحي الحافل بالأعمال الرائدة شهادة التشريف والتكريم من أمراء الدولة السعودية.

هذه الوثيقة كشفت لنا بجلاء عن جانب من مكانة جاوان الاجتماعية؛ ليستشار في أمر كهذا، والمتتبع لمسيرة العطاء والولاء، ولطبيعة المواقف التي صقلت مواهب جاوان البلحي يجد في آرائه عمق المعرفة بقومه، من حاضرة وبادية.

وهكذا كانت حياة جاوان البلحي؛ عملاً متواصلا وإنجاز مثمراً إلى أن وافاه الأجل المحتوم في ٢٩ صفر عام ١٣٨٧هـ بعد أن تجاوز الخامسة والثمانون من عمره تقريباً وقد خلّف خمسة أبناء أصغرهم سناً مؤلف (ديوانه) - رحم الله - جاوان البلحي وغفر ذنوبه فقد تحلى واتسم بكافة الصفات العربية الأصيلة.

لا وهني فاطرك جاوان *** ترعى وأنا فاطري ردت

لا وهني فاطـــرك جاوان   ترعى وأنـا فـاطري ردت
ترعى الغبـية[1] وأبا الغبطـان   تـرعى من القفر مـا صدت
يستهالـك مقدم الظفــران   وإن كان بعيونـها احتدت
يـارد ليا صدر العطشـــان   ويشرب وكـم جادل حدت
يا شوق من عطرها ريحان   وشقـر على ردفها كـدت
يا البيض ياللي بكن شرهان   غيـره معيبـه لــيـا ودت

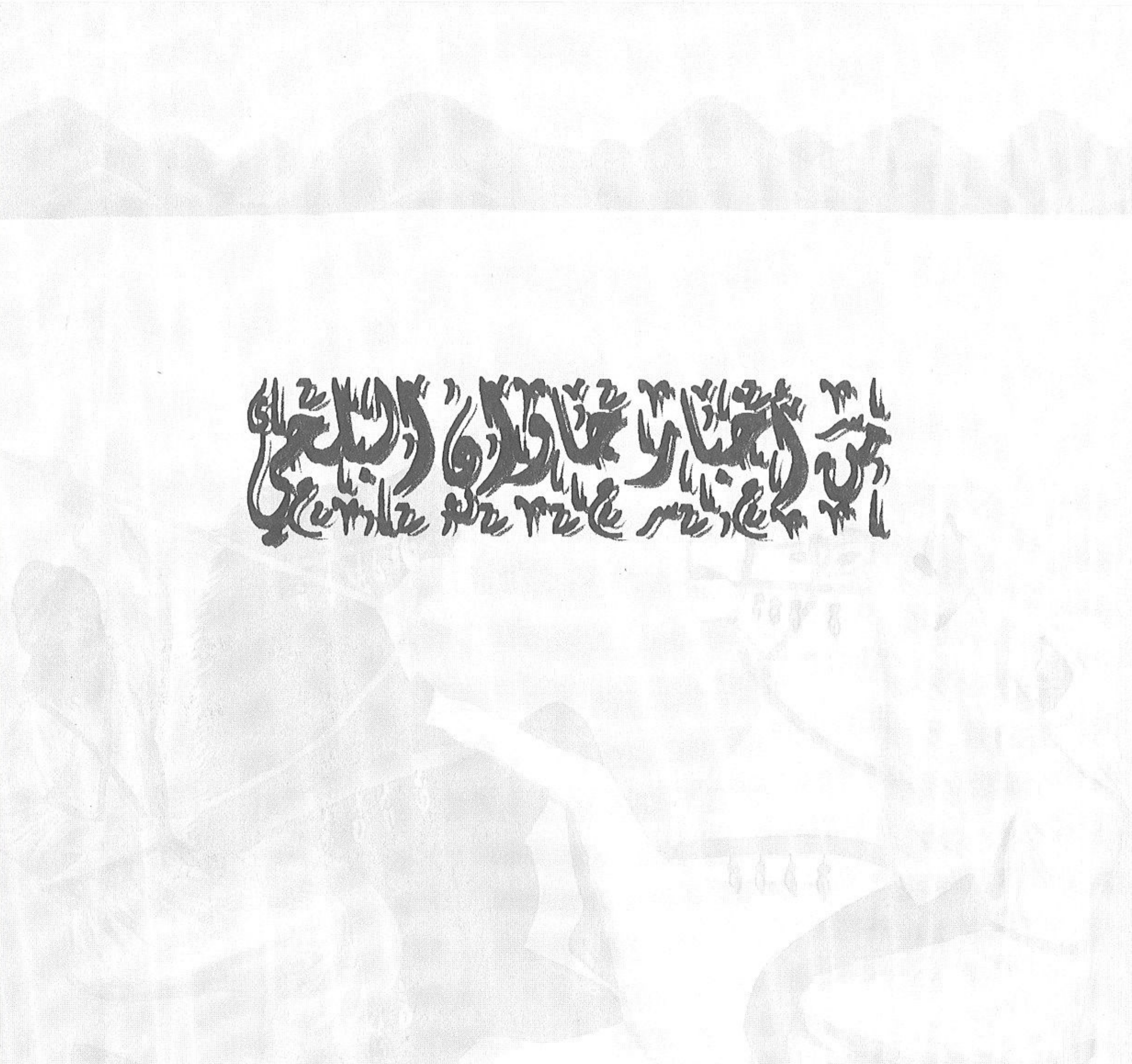
١/ الغبية وأبو غبطان : من مواقع محميه لأبل وخيل سمو الأمير عبدالعزيز بن جلوي

التعليق على القصيدة

لقد حظي جاوان البلحي بتقدير خاص من سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي - رحمه الله - كما خصه سمو الأمير بمزايا شخصية واجتماعية لم يفز بمثلها أقرانه. فقد كان محل ثقة سمو الأمير الذي أعتمد عليه في بعض المهام الأمنية في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ إرساء دعائم الدولة السعودية الثالثة - كما أسلفنا أثناء عرض الوثيقة الأولى والتعليق عليها - فضلاً عن آراءه الصائبة المنبثقة عن المعرفة العميقة بأهل البادية؛ لذا كان سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد يعتد بآرائه ويستعين بمشورته في بعض الأمور - كما جاء ذكره في الوثيقة الثانية -.

أما هذه القصيدة فهي بمثابة وثيقة شعرية، كشف شاعرها عن المكانة المتميزة التي حظي بها جاوان البلحي من لدن سمو الأمير عبد العزيز بن جلوي الذي سمح لإبل جاوان البلحي بأن ترعى من المواقع المخصصة لإبله دون سواه كما جاء واضحاً في أبيات القصيدة، وقد جسد الشاعر أسباب نيل مثل هذا الشرف بقوله.

يستاهلك مقدم الظفران **وإن كان بعيونها احتنت**



من أخبار هارون الرشيد

في هذا الجزء.. قصة جسدت معاني العفو والتسامح كصفتين لازمتين لكل من أختار أن يكون فارساً، لا بقوة جسده وبسالته ساعة النزال فحسب، بل بما تأصل في نفسه من إباء وشموخ وعزة تسمو به، وتنحدر من أصلٍ كريم.

وجاوان البلحي مثال يحتذى به في قوة لا تبعد عن ميادين المعارك ولكنها قوة أقوى من أن يستهان بها في رحلة الحياة.. وتلك هي معركة النفس مع ذاتها.. قوة لا تقهر إلا بنفس أحكمت التحصين وتحصنت بأسوار الكمال، فالكل يسعى لها والكل يطلبها، ففي نفس الرجال قل أن تجد لها اكتمال إلا بنفس فارس كان لها مقر.

وتمهيداً لهذا اللون البطولي، لابد لنا من إبراز اللمحة التاريخية التالية: حيث التناحر كان الصفة السائدة للعلاقات بين القبائل مع بعضها البعض، وحيث كانت المياه وموار دها الشحيحة أغلب أسباب التناحر في صحراء لا تكتب الحياة لقاطنيها إلا بتوافر المياه فيها؛ لذا كانت أغلب القبائل في الماضي لا تسمح لقبيلة أخرى بأن ترد على مصادر مياهها، وإن كان لابد، فبإذن مسبق وفق أعراف واتفاقات مبرمة؛ وذلك لأسباب عدة منها العداء بين القبائل مع بعضها البعض والعلاقات الشائكة بين الأحلاف والخصوم ومنها المحافظة على حدود القبيلة والذود عن ممتلكاتها من مراعي ومصادر للمياه، أما السبب الرئيسي فيتمحور في شح المياه وندرة الأمطار وانعدام الأنهار.

وقصـتنا تبـدأ فصـولها وتتـوالى أحـداثها عنـدما ورد جـاوان البلحي ذات يـوم على أحد تلك العدود أثنـاء متابعتـه لمسيرة رحيلـه إلى ديار أخرى..فلم يسعـه أن يطلب إذنـاً من أهل العد الذي ورد عليه، وعندما ارتوت أغلب إبلـه، فـإذا برجل يعدو نحـوه، والشر بـادٍ علـى وجهـه، تسبقه ألفـاظ استنكار وشتائم أطلقها دون وعي، لساقي الإبل، فأمسك بالمقامة ونزعها ثم ألقى بها أرضـاً.. دون أن يسأل أو يستفسر من صـاحب الإبل عن أسباب فعلـه هذا، بل أخذ يحدق في نظر جاوان فقرأ جاوان من سهام لحظه الـذي اكتظ غيظاً عبارة تجلت في مقولـة بـددت سكون البكور وروعتـه.. ((ما هكذا تورد الإبل))! فأجابه جاوان..بمثلها لكل مقام مقالٍ ونـزل من ظهر بعيره ((السانية)) وأمسك بالرجل ثم طرحه أرضاً، وما أن هم برفـع قدمه ليركب ثانية، وإذا برجلين ينطلقا نحوه لنجدة رفيقهما وإكمـال ما بدأه ليكون مصيرهما مثل مصيره، وبينما ثلاثتهم لا يقوون على النهـوض، عمر جـاوان بندقيتـه قـائلاً:((إذا لـم تعرفونني فـإن اسمـي جاوان البلحي))! تلك كانت من أبرز سماته وأشـهر مقولاتـه لمن لا يعرفه، وكأنه يقول فيهـا: ((الأيـام بيننـا فأنـا فـلان بـن فـلان)) فهـولا يخفي اسمه أو شخصيته خوفاً ورهبـة من ملاحقـة الأعداء، وكأنـه يفتـح باب النزال لمن أراد!

تمر الأيـام وتمضي السنوات على هذه الحـادثة ليبدأ فصلها الثاني على أرض بدع جاوان التي اكتست خضرة بنعمـة من الله وأمطـار فاضت على أثرها ألوان الخير والنماء عوناً ونجدة من كريم متعال إلـى عبد كريم لـم يمنع خيرها على أحد غيره ولـم يبخل ببذلها لحلفائـه أو أعدائـه، فأقبلت القبائل بإبلها على هذه البقاع تطلب السقيا بـلا إذن، تطمـع فـي كرم الكرمـاء فـي زمن القحط ! فما بالك إذا عمّ أرضهم الرخاء!.

وفجأة صمت عرس الأرض برهةً، ودارت عجلة الزمـان إلى الوراء حينما أقدمت إبل لم يضل راعيها طريقه ولم يكن عابراً لـه، بل جاء قـاصداً لمورد مـاء وبساط أخضر شاع في الأنحاء اتساع، يمتاز بخصوبة مراعيه وكرم أهله، فكان استقبال جاوان له دعوة تفيض جوداً وكرماً.. يا راعي الابل أقبل وأورد، حللت أهلا ووطئت سهلا، وبعدما تبادلا التحايا، طلب الرجل دلوًا ورشـا ليسقي إبله، فقدم جاوان له ما طلب ثم سأله: ((من أي قبيلـة أنـت؟)) فأجابـه الرجل: ((أنـا من قبيلـة آل فـلان)) لحظتها ازدادت سرعـة دورة الزمـان.. لا للإمـام بـل للـوراء، واصـلة حلقات لأحداث مضت لقصة باعدت بين فصولها مسيرة الزمان.. ولكن! ها هي فرصتك يا جاوان، وها هم أهل العد الذين حـاولوا عبثاً منعك ذات يوم وثـاروا بوجهك لائمون فـاليوم يومـك، جاؤا طواعية لأرضك واردون فابشر بسقيا إبل أنت غانمها، وقومك كـان فـائزون..كل هذا كـان متـاح لجـاوان برد الصبـاع صـاعين ولكن! كل تلك الأفكـار وغيرهـا ممـا خطـر ببالنـا..لم تأخذ في مساحة عقل جاوان وتفكيره حيزاً بل كان رده حاضراً، صـاحبته بشاشة طلقة

محت أحقاد الماضي في نفس فارس أبت نفسه إلا ان يوأدها بعد أن دبت في أوصالها أسباب الحياة قاهرا لها بقوة الفرسان وعزيمة الرجال قائلاً للرجل: ((ابشروا بالدلو والرشا والزاد، إنني أعرف آل فلان..فإنهم نعم الرجال أهل معروف علينا قديم))!. وبعدما اكتملت مراسم الترحيب بالضيف الكريم، وأراد الرحيل منحه جاوان دلواً ورشاً، ثم قال له: ((بلغ آل فلان سلامي)) فقال الرجل:((أنا لا أعرف اسمك)) ! فرد عليه قائلاً: ((اسمي جاوان البلحي)).

ارتحل الرجل بإبله سالماً غانماً.. لكرم الضيافة و تسامح الرجال، وما أن حط الرحال بدار أهله حتى قص فصل من فصول قصة لم يطو أولها الزمان.. فروى لهم عزاً وكرماً ونقل لهم بشرى سلام من جاوان بقوله:((لقد وجدت جاوان البلحي وهو يهديكم السلام، فقد أقراني وأسقى إبلي وزودني بهذا الدلو وذلك الرشا وقد أثنى عليكم كثيراً))!.

سعد القوم لتلك المواقف وذلك الإطراء دون انتباه فذكرهم كبيرهم قائلاً: ((من فيكم نسي جاوان ألا تذكرونه ؟ النعم والطيب هو الذي يستحقه وما فعله بكم آنفاً تستحقونه .أما أنتم سود الله وجوهكم، والله إنه بودي أنكم استطعتم أن تمنعوه ! إلا أنه أسقى إبله رغماً عنكم ! فما فعلتموه يندى له الجبين)).

ثم اجتمع وجهاء القوم لمعالجة هذا الأمر، وقرروا الذهاب إلى جاوان ليعتذروا له عما بدر من رجالهم سابقاً، فاستقبلهم جاوان بصدرٍ رحب وقبل الاعتذار.

خوذي ولد عمك وسميه جاوان * وناديه باسمه عل حظك تجيبه

****

تقدم جاوان البلحي لطلب الزواج من إحدى فتيات قبيلته، فوافق أهل الفتاة على طلبه، وعندما علم ابن عمها بأمر الخطبة حيرها وعزم ألا يتزوجها إلا هو، فتقدم إلى عمه يطلب الزواج منها، إلا أن الفتاة رفضت الزواج منه، فكان هذا الرفض نواة لخصام دام طويلاً بين أبناء العمومة فأخو الفتاة ليس من حقه إجبار أخته على الزواج من ابن عمها الذي لا ترغب الزواج منه وابن عمها.. يرى أنه أحق من الغريب في الزواج منها. والشرع يحفظ لها حقها في الرفض،والعرف يقضي لصالح ابن العم .

اتفق أخو الفتاة مع جاوان على الإفتراق في النزل، وأن يرحل عرب كل منهما إلى جهة مختلفة لعل تلك الفرقة تخفف من حدة تعصب ابن العم، فيفك حيرة ابنة عمه.

وكان هذا الاتفاق سراً محفوظاً بين الرجلين لدرجة أن الفتاة نفسها لم تعلم به.وبعد مضي عام تقريباً من افتراق العرب، رأت الفتاة إبلٍ لم ترها من قبل، فلحقت بها في لهفة لرؤية وسمها. فشاهدها رجل من قومها، ولاحظ تسارع خطاها نحو الإبل فعرف مقصدها وسر لهفتها ثم أنشدها ناصحاً لها بقوله:

****

يا بنت خوذي رأي وافٍ ومليـــان   راي الـذي مـــا شـــار لك بالغـيبـة

من دون خلك ثار ملحاً ودخـــان   وصارت عليك من المصايب مصيبـة

مالك بحـر عيّفت فيه غــــربان   شهر علــى ضلع عوى فيـه ذيبه

أقفت إضعونه مسندين وراء بان   اقفت ضعونــه والخــواطر مطيبـة

خوذي ولد عمك وسميه جــاوان   ونــاديه باسمه عل حظك يجيبة

وبعد مضي عام عاد ابن عم الفتاة مجدداً يرجو موافقة ابنة عمه على الزواج منه فرفضت طلبه ثم قالت:((.إنني أراك مثل أخي فلان، فأنت عزوتي فإذا أصابتني مصيبة لا ألجا إلا إليك ! فكيف أنا اليوم ألتجي منك بغيرك؟)).

لقد كانت لهذه الكلمات وقعها المؤثر في نفس ابن العم الذي احترم رغبتها وأطلق حيرتها. ثم تقدم إليها جاوان وتزوجها فقال الشاعر:

يا شبه وضحى مع القطعان	**ما قهقرت تقل مفرودة**
حظه كبير خذت جاوان	**ماهي من البيض مقرودة**

دعي جاوان البلحي لمأدبة عشاء وكان من ضمن المدعوين أحد شيوخ قبائل البادية وعندما التفوا حول مأدبة العشاء قال ذلك الشيخ: ((أعطنا أخبارك يالبلحي)) فقال له جاوان: ((إن كان لك لسانين تمضغ بواحد الطعام والآخر تتحدث به فأنا ليس لي إلا لسان واحد وأخباري التي لم تصلك سوف تأتيك بعدما ننتهي من العشاء)) فلزم الجميع الصمت.

وأثناء تناولهم طعام العشاء أحس جاوان بأفعى تلتف حول أطراف بدنه فلم يغير ساكن وظل يتناول الطعام وكأن شيئاً لم يصير وقبل أن يهموا بالقيام من المائدة قال جاوان لصاحب الدعوة:((يا معزبنا أشعل النار)) فأشعلها حتى صاروا كأنهم في واضح النهار ففر كل من حول المائدة إذ رأوا أفعى سوداء منسدلاً على منكب جاوان الأيسر راكزاً رأسه وناشراً عرفه ويسل لسانه فنظر إليه جاوان وقال له:((يهب)) فأنزل الأفعى رأسه وأرخى رقبته وأنكمش عرفه وفر هارباً وقال ذلك الشيخ: ((أفعى رأى له أفعى)) وهموا بقتله ومنعهم جاوان أن يقتلوه، فكانت تلك الحادثة أهم خبر يتلقاه صاحب جاوان!



طرائف

رغم قسوة الحياة وطبيعتها القاحلة التي عاشها جاوان البلحي إلا أنها كانت مليئة بالمواقف والعبر ولا تخلو من الطرائف فمنها نذكر ما يلي:

كان رجل يبعث بتهديد لجاوان، من خلال قوله لمن حوله قائلاً لهم أنه:((إذا رأى جاوان سوف ينزل به أشد العقاب وسيوريه شيئاً لم يره من قبل)) فوصلت عبارة التهديد إلى مسامع جاوان، وذهب إليه جاوان وقال له:((يا فلان قد بلغني أنك تهددني، فهل تستطيع أن تفي فيما هددت به فها أنا قد أتيت إليك قبل أن تأتيني فماذا ستفعل الآن؟)) فلم يستطع الرجل الإجابة على السؤال ولم يجرؤ على التقدم خطوة واحدة ثم أخذ يردد العبارات التالية عدة مرات:((أنت واحد وأنا واحد والله يستر بالحبيب)) فابتسم جاوان ساخراً من الرجل وانصرف عنه وتركه وهو ما يزال يردد تلك الكلمات.

حل جاوان ضيفاً على صديق له فلما رآه صديقه أخذ يستدير حول ذلول جاوان ويقول:((لا إله إلا الله، الله أكبر)) واستمر في التهليل والتكبير وهو يدور حول الذلول إلى أن قال له جاوان:((ما بك يا فلان)) قال الرجل:((قد بلغني خبر بأنك قد مت منذ عام)) فقال جاوان:((ها أنا حي أرزق أمامك ولكن ماذا يقول الناس عني)) قال الرجل: ((منهم من يقول والله أنه فقيدة أخو جوية الله يرحمه ومنهم من يقول خله لعله ما يقوم)).

حدث خلاف بين جاوان ونفر من قومه فقرروا على أثره التخلص من جاوان فقال أحدهم ((إن جاوان لا يشك بي وبإمكاني أن أغدر به)) إلا أن الخلاف انتهى قبل أن ينفذ الرجل غدره الذي نواه. كما أن جاوان علم بأمر ذلك الغدر، ولم يعره أي اهتمام، وبعد مضي عدة سنوات سافر جاوان إلى مكة المكرمة ومعه جماعة من قومه وكان يرافقهم ذلك الرجل وعندما حل الظلام أخذ الجميع يتسامرون ويتحدثون قبل أن يخلدوا إلى النوم، ففاجأ جاوان الرجل بسؤاله قائلاً له: ((يا فلان هل صحيح أنك نويت أن تغدر بي وأنا أقرب الناس إليك ؟ والله لو كنت في مكانك لكنت عوناً لك لا عليك)) فلم يستطع الرجل الرد بالنفي أو بالإيجاب ثم توارى خجلاً تستره ظلمة الليل. ونام الجميع في هدوء، إلا أن الرجل كان ينتفض من فراشه فزعاً كلما أنقلب جاوان من جنب إلى جنب آخر وعندما استيقظ الجميع في الصباح لم يجدوا ذلك الرجل الذي لاذ بالفرار ليلاً.

يتجسد التواصل بين الإنسان والحصان في علاقة لها أسرار وتاريخ، فقد يتعجب البعض من القدرات التي يمتلكها محبوا الخيول في فهم ما تريده خيولهم ورغباتها وحالتها النفسية، ولكن ما يؤكدونه أن الخيول تملك لغة خاصة يمكن من خلالها التفاهم معها. هذه اللغة التي وعيها الإنسان الأول في مرحلة اكتشافه الطبيعة التي حوله، ليجد الحصان أكثر الكائنات تواصلاً والتصاقاً به.

وحول هذه العلاقة الوطيدة بين الفارس والفرس والتي كانت محوراً لتطور الحياة الإنسانية وانطلاقاتها، ضمّن جاوان البلحي شعره الكثير من أسرارها، كما جاء في قصيدة ((شرهة)).إلا أن قصيدته التي يناشد فيها جواده ((عموش)) فقد مثلت الحد الفاصل بين حياة البادية قبل التوطين وبعده، وتعتبر هذه القصيدة مدخل منهجي وتمهيدي سليم لفهم تاريخ الفروسية، وتتبع أصولها وفروعها وتفاعلاتها وتطورها في الزمان والمكان فمبحث الخيل هو الأصل في أدب الفروسية وإن عد فرعاً من فروعه ويأتي على قائمة مؤلفات الفروسية النوعية وبه تستهل عادة مؤلفات الفروسية الجامعة، ولولا الفرس لما كان هناك فارس وفروسية لفظاً ومفهوماً وواقعاً.

أما عن أهمية الحصان لدى الفارس العربي فهي ترجع إلى الدور الكبير الذي يقوم به هذا الكائن في حسم المعارك وتحقيق الانتصارات مما كان له الأثر العظيم على مستقبل الحضارة والثقافة في عالمنا العربي والإسلامي، وعلى تطورهما والارتقاء بهما. فضلاً عن أن هذه القوة اعتمدت على الخيالة كركيزة أساسية في حربها وسلمها.

وتنقلنا القصيدة التالية من خضم هذه السياقات الحضارية المترعة بالألوان والصور حيث تتزاحم وتتدافع أنشطة الفروسية ورموزها وتعبيراتها محمولة على تاريخ عريق شهد أهم الأطوار التي مر بها الإنسان ورفيقه الحصان في مسيرتهما العسيرة والمجيدة إلى بيئة مختلفة تماماً شاع فيها الأمن ونعمت بأمان التوحيد والإيمان، وعبرت عن محبة صادقة للخيل، اعتزت بما خلفه من أثر وعبرت كلماتها على لسان شاعرها عن هذا الاعتزاز بصدق وبساطة و بما يتفق مع تقاليدها ومناخها الثقافي وتفاعلاتها في الزمان والمكان.

فقد توطدت العلاقة بين الفارس جاوان البلحي وجواده ((عموش)) خلال المعارك والغارات التي خاضاها مما جعل انفصام عرى تلك العلاقة ممزوجة بآلام خفف من حدتها واقع الحياة الآمنة والمستقبل الزاهر للعيش الكريم؛ لذا جاءت قصيدة الغوج حافلة بأمجاد الخيل التاريخية، ولمسة وفاء من الفارس لجواده. كماجاءت مناسبتها تسجيلاً للحظة التاريخية في تاريخنا الحديث بين عصري الفرقة والتوحيد.



يا الغوج لو إنا عليك إنغير   ما والله أبيعك ولا نهديك

في ما مضى حاماً لعوص العير   ترعا بك القفراء بأمان فيك

واليوم أنا وياك كيف نصير   لا أحد بنا خيني ولا باغيك

ماكولك الحنطة ودر الظير   وحر الليالي برْدها مدفيك

جعل الهبايب ساكنه ما تذير   وألا الليالي دوم ما توريك

العام عنهم نازلين النير   واليوم والله عيفوني فيك

قال في خيله:

والله يا لولا السابق الثامريه   توفي بيوم اللي له الموت حاني

ناديت عيه عموش يا موف الأفراح   شرهه خذوها موسعين الجراحي

وقال في جيشه:

يا أهل الركائب نبي شلـّـه   شيّلوا وأنا أبدا الهجينيه

جروا طروقٍ على حلـه   وأن زرفلن عقب عصريه

نجائبٍ ما بهن خلـه   يا طنْ ماطا البشاريه

يا راكب اللي تبوج البيد   من ساس هجن المحاميدي

شرهه لهوز العصا ما يريد   تجي على كيف ما تريدي

ابعدت عنها الرسن والقيد   شرهه تجيني بلا قيدي

الله ينجك يا سمحة   يا موفيه بالمطاليبي

يا زين رمي على اللمحه   يوم الركائب صواليبي

بكرتي يا عائده   لركائب قائدة

أسما خيله: الثامريات عددهن اثنتين ـ عموش ـ فريحه.

أسماء جيشه: البشاريات عددهن ثلاث ـ شرهة عايدة ـ سمحة ـ السعيدة.

الخاتمة

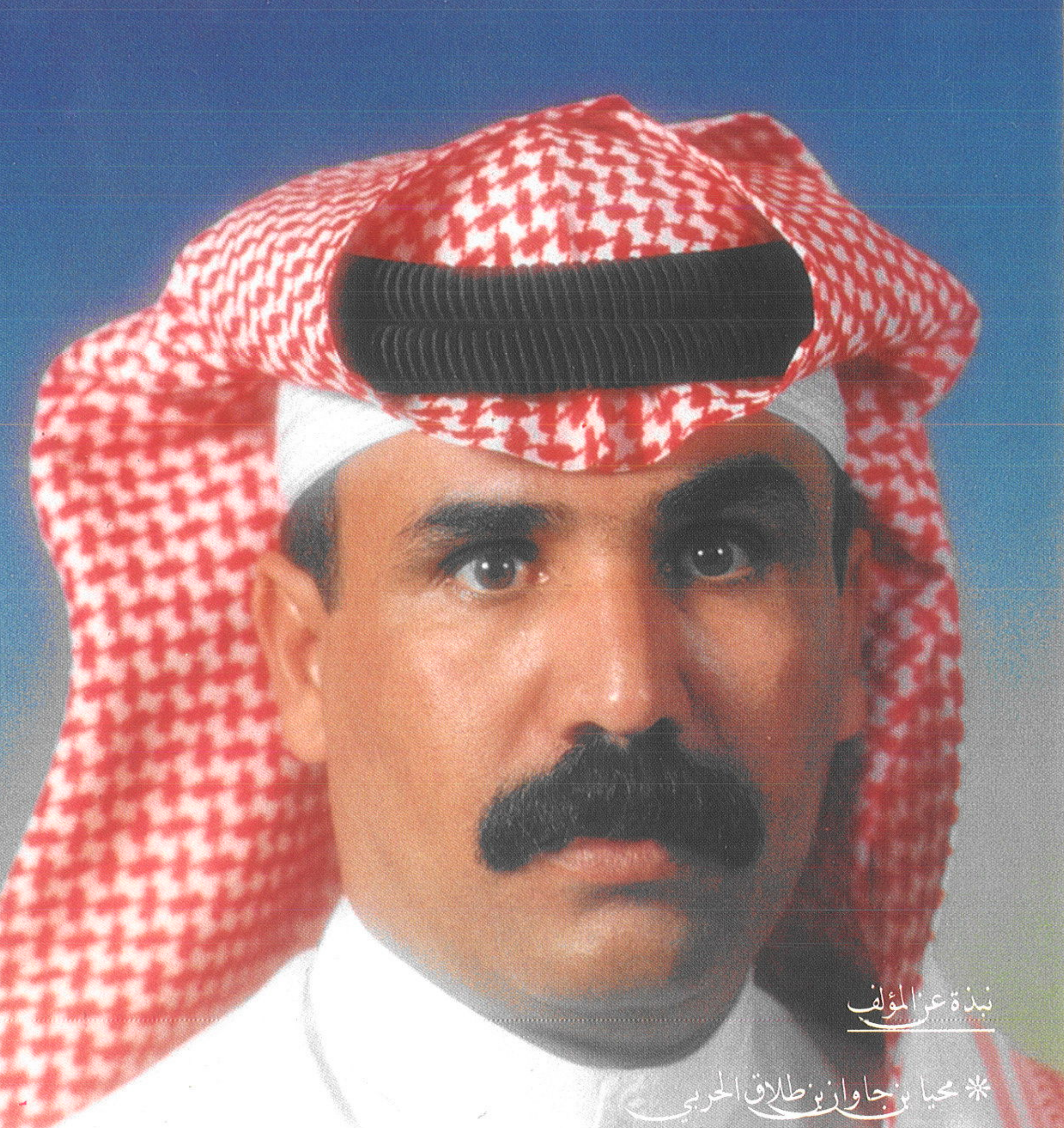
إن هذا الديوان الذي جمعت فيه أخبار وقصائد جاوان البلحي جاء مليئاً بالأحداث المتوقعة تاريخياً، لاسيما وأن الحقبة الزمنية التي عاشها هذا الفارس تزامنت مع عهدين متباينين من تاريخ مملكتنا الغالية هما عهد ما قبل توحد المملكة وعهد توحيدها ولا يخفي على أحد مدى التباين بين هذين العهدين.

لقد عاش جاوان البلحي عهد ما قبل التوحيد كفارس اتسم بذلك العهد وبطلاً بكل ما كان يحويه من مقاييس، فكان في طليعة الفرسان ومقدمة الرجال في كل ما قام به من أعمال تتناسب والعصبية القبلية والروح الجاهلية أن جاز التقدير اللتان كانت تسوده.

كما عاش في بدايات مرحلة التوحيد وتعايش معه متفهماً إلى ما دعا إليه المؤسس المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود فشارك مع الرعيل الأول من الفرسان المجاهدين تحت راية التوحيد باسم الأخوان في معظم الفتوحات والغزوات وكان له بيرق يخصه وعشرته كسائر شيوخ القبائل وقد كانت له مواقفه البطولية، ذكرنا جانباً منها حسبما وصلنا من روايات الرواة.

وفي الختام تجدر الإشارة إلى أنني تعمدت إغفال ذكر بعض أسماء الأشخاص والقبائل في المواقف والأحداث التي أوردتها لاسيما أن كانت تمس الآخرين أو تفضي إلى إساءة البعض سواء في أفعاله أو أشعاره، فقد أغفلت الكثير من أشعاره التي أشارت إلى أسماء خصومه بوضوح، فغايتي تحقيق المتعة الفنية والتذوق الأدبي نقرأ الموروث الشعبي في ربوع مملكتنا التي تنعم بالوحدة والأمان في ظل رعاية مليكنا فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله

فهرسة الكتاب



نبذة عن المؤلف

* محيا بن جاوز بن طلاق الحربي
* ولد عام ١٣٨٢هـ
* تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بمنطقة حائل
* شاعر له اهتمامات خاصة في جمع وتحقيق الشعر الشعبي
* يعد حالياً: كتاب السلف في ذاكرة الخلف لمختلف القبائل في الجزيرة العربية وديوانا آخر يضم قصائده

رقم الايداع: ٢٣/١٥٢٤ ردمك: ٩٩٦٠-٤١-٥١٢-٠